التّضمين النّحوي

ودلالته في القرآن الكريم وموقف المُفسّرين والنُّحاة منه

دراسة تطبيقيّة تحليليّة (سورة البقرة أنموذجاً)

إعـداد

دكتورة/ أشواق سليمان عبدالرحمن البراهيم

كلية العلوم والآداب

جامعة الحدود الشمالية فرع رفحاء

١٤٤٥ هـ- ٢٠٢٣م

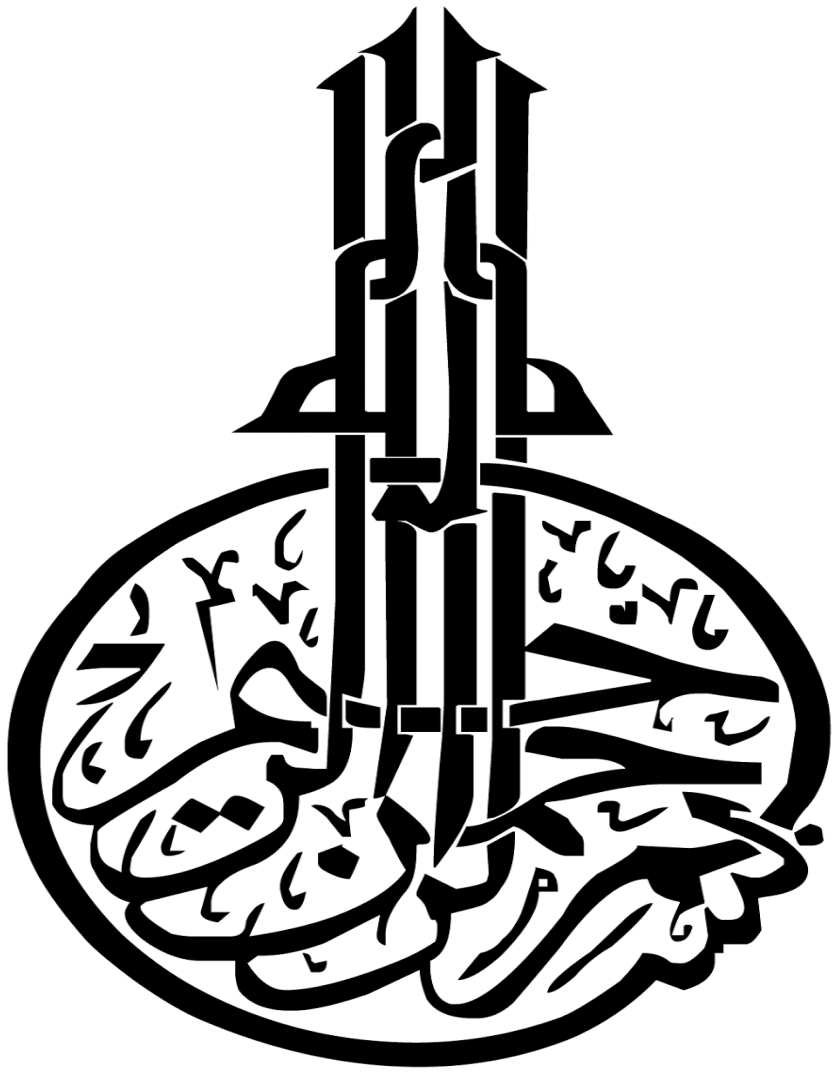

التّضمين النّحوي ودلالته في القرآن الكريم وموقف المُفسّرين والنُّحاة منه دراسة تطبيقيّة تحليليّة(سورة البقرة أنموذجًا)

أشواق سليمان عبدالرحمن البراهيم
قسم: المواد العامة – كلية العلوم والآداب – جامعة الحدود الشمالية فرع رفحاء.
البريد الإلكتروني:
roro9961@hotmail.com

ملخص البحث:

تناولت هذه الدّراسة التّضمين النحوي ودلالته في القرآن الكريم، في سورة البقرة أنموذجًا، لبيان موقف المفسرين والنّحاة منه، أوّلًا، وكشف دلالته في سورة البقرة ثانيًا، وبيان ما تضمّنته من تضمين سواء أكان بالفعل أم الاسم أم الحرف، وصولًا إلىٰ محاولة ترجيح ذلك من بين أقوال النحاة والمفسرين. اعتمدت الدّراسة المنهج التكاملي الذي تضَّمن المنهج الوصفي والاستقرائي ثمّ أُلحق بالإحصائي؛ وقد أسهم المنهج الأخير في جمع المعطيات الإحصائية وتحليلها، لغرض إظهار الاستدلالات العلمية، وإحصاء عدد الآيات التي حوت تضمينًا في سورة البقرة، ومن ثمّ الوقوف علىٰ تحليلها واستنباط ما فيها من دلالات بحسب السياق القرآني. توصّلت الدّراسة بعد مناقشة أقوال العلماء وترجيح ما ارتأته إلىٰ عدّة نتائج، أهمّها: أنّ عدد الآيات التي تضمَّنت معنىٰ التضمين هي ستون آيةً، ما بين تضمين لفعل وحرف واسم}، كما أن هناك بعض الآيات التي وقع فيها اختلاف لمعنىٰ التضمين فيها، والتي غلب عليها بحسب الدّراسة عدم وجوع التضمين، والله أعلم، فكان عدد الآيات التي اشتملت علىٰ تضمين الأفعال تسعًا وثلاثين آية، وهي النسبة الأكبر من إجمالي عدد الآيات التي وقع بها التضمين، ممَّا يؤكد وقوع التضمين في اللغة

علىٰ الأفعال بشكل} أوسع، بينما كانت عدد الآيات التي اشتملت علىٰ تضمين الحروف إحدىٰ عشرة آية، وأخيرًا عدد الآيات التي اشتملت علىٰ تضمين الأسماء عشر آيات.

الكلمات المفتاحيّة: التضمين- الدلالة- الترجيح- سورة البقرة.

Syntactical inclusion and its connotations in the Holy Quran The position of interpreters and grammarians towards it: An applied analytical study (Surah Al-Baqarah as a model)

Ashwaq Suleiman Abdul Rahman Al-Ibrahim
Department of General Sciences, College of Arts and Sciences, Northern Border University, Rafha Branch, Saudi Arabia.
E-mail: roro9961@hotmail.com

Abstract:

This study addressed the syntactical inclusion and its connotation in the Holy Quran, using Surah Al-Baqarah as a model, to clarify the position of the interpreters and grammarians towards it first, and to reveal its connotation in Surah Al-Baqarah. secondly, and to explain what it included of inclusion, whether it was by verb, noun, or letter, reaching to an attempt to choose that from among the sayings and opinions of the grammarians and interpreters. The study adopted an integrated approach that included the descriptive and inductive methods, and then was followed by the statistical method. The latter method contributed to the collection and analysis of statistical data for the purpose of showing scientific inferences, counting the number of verses that contained inclusion in Surat Al-Baqarah, and then analyzing them and inferring the connotations according to the Quranic context. The study, after discussing the opinions of scholars and selecting the best opinion, reached several results, the most important of which are: -The number of verses that contain the meaning of inclusion is sixty verses, including inclusion of a verb, a letter, and a name. -There are also some verses in which there is a difference in the meaning of inclusion, which, according to the study, doesn't have inclusion, and God knows. The number of verses that included the inclusion of

verbs was thirty-nine verses, which is the largest percentage of the total number of verses in which the inclusion occurred. This confirms that the inclusion in the language occurs on verbs more widely, while the number of verses that included the inclusion of letters was eleven verses, and finally the number of verses that included the inclusion of names was ten verses.

Keywords: Inclusion- Connotation- Preference- Surah Al-Baqara.

مقدمة

الحمد لله علىٰ نعمه التي لا تُحصىٰ، والصَّلاة والسَّلام علىٰ نبيّ الرَّحمة، محمّد بن عبد الله – عليه وعلىٰ آل بيته أفضل الصَّلاة والتَّسليم – فسبحان من أنطق اللِّسان بأجمل ما قيل من سحر البيان؛ فأشرق الكون بنوره للهدىٰ إلىٰ يوم التَّلاقِ.

أمّا بعد:

فثمَّة علاقة وطيدة بين النّحو والتفسير، فهما الآلتان الأساسيتان في تذوُّق النص القرآني والإلمام بأسراره، ولقد تعرَّض المفسرون والنّحاة لظاهرة التّضمين النحوي، كاشفين عن أهمية تلك المعاني ودورها في توضيح الأغراض البلاغية والدلالية منها علىٰ حدٍّ سواء، وذلك بغية إيضاحٍ أكثر لمعاني آيات القرآن الكريم، وفهم أعمق لأسرارها الربَّانية.

يُعدّ التّضمين من الظواهر اللّغويّة التي تفطّن إليها نُحاة العرب القدامىٰ تعريفًا وتقعيدًا واستخدامًا بوصفها آلية في معالجة النصوص وتفسير الأساليب؛ إذ تداوله النحاة منذ القرن الثاني للهجرة[1].

أهمية الدراسة:

التّضمين هو أحد أسمىٰ الفصول العربية، وعند التأمّل فيه، يُدرك المرء به أسرار حروف المعاني ومزاياها؛ فيحدث تكيّف وتأقلم بين الحرف والفعل أو المشتق الذي لم يألفه. وهكذا، يتمكّن الفعل من التجانس وسلاسة الحرف. ولولا القدرة التي تحملها هذه الحروف علىٰ مسايرة الفكر واستيعابه، لكان المرء مُضَّطرًا للتَّعامُل معها بصعوبة وتجنُّبها، ولكانت مختلفة عن غيرها في استعمالها Top of Form[2].

---

(١) آسيا غروج، "التّضمين في النحو وتطبيقاته في القرآن الكريم"، الناشر: دفاتر تعبر الشعرية الجزائرية، العدد الثالث، ٢٠١٦م، ص٩.

(٢) محمد نديم فاصل، "التّضمين النحوي في القرآن الكريم"، الناشر: دار الزمان للنشر والتوزيع، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية، الطبعة الأولىٰ، ١٤٢٦ه، ٢٠٠٥م، ص١٠.

إنَّ لأسلوب التّضمين حضورًا واسعًا في علوم النَّحو والبلاغة، كما اعتمده علماء التفسير، لاسيما في القضايا اللّغويّة والعلاقات النحوية المتشابكة، من هنا كان الدافع لهذه الدراسة، هو الكشف عمَّا هو جديد من خلال بلاغته ودلالته، وذلك تطبيقًا علىٰ سورة البقرة في القرآن الكريم.

دوافع اختيار الموضوع:

التّضمين هو أحد الأسرار السّاحرة لهذه اللغة العربية الشريفة، إذ يُعَدُّ مفتاحًا أساسيًّا لها وجوهرًا من جواهرها. يكمن سحره في ترتيب الكلمات وتجانسها، ممَّا ينتج عنه ألفاظٌ بهيّة وعباراتٌ لطيفة. وبفضل هذه الطريقة البديعة التي اختصَّت بها هذه اللغة، يمكن للمفردات أن تحمل في طيَّاتها الكثير من المعاني والإشارات التي قد يصعب التّعبير عنها بشكلٍ واضحٍ وصريح. وبهذا، يُصبح النصّ أكثر جمالا وإيحاءً وجاذبية للقارئ أو المستمع (١).

ويعدُّ التّضمين أحد أساليب التّوكيد، وذلك وفقًا لرأي بعض علماء اللغة، وقد جاءت هذه الدراسة للوقوف علىٰ آراء النّحاة والمفسّرين وموقفهم من التّضمين من إجازة ومنعٍ، مع تنقيح ما يمكن تنقيحه بالدّليل الصحيح.

منهج الدّراسة:

اعتمدت الباحثة علىٰ المنهج التّكاملي؛ الذي تضَّمن **المنهج الوصفي والاستقرائي** ثمّ أُلحق **بالإحصائي**؛ وبما أنّ ظاهرة التّضمين من الظواهر اللّغويّة التي جاءت في القرآن الكريم، فقد ارتأت الباحثة البدء بالمنهج الوصفي من خلال وصف ظاهرة التّضمين النحوي ودلالتها في القرآن الكريم، كما اعتمدت كذلك علىٰ المنهج الاستقرائي الذي حوىٰ استقراءً لأقوال المفسرين والنحاة في ظاهرة

(١) المرجع السابق، ص٢٠.

التّضمين النحوي، ثم أُستعين بالمنهج الإحصائي بشكله المبسّط من خلال إحصاء عدد الآيات التي ورد فيها التّضمين في سورة البقرة، للوقوف علىٰ دلالاتها ومضامنيها.

منهجيّة الدّراسة:

- تناولت الباحثة ستين آية من سورة البقرة، مُستعرضة في كل آية معنىٰ التّضمين فيها، سواء أكان في الفعل أم الاسم أم الحرف.
- تناولت أقوال بعض المفسّرين والنّحاة لبعض آيات سورة البقرة التي اشتملت علىٰ التّضمين ودلالته البلاغية، من دون الخوض المُسهب في تفسيرها؛ نظرًا لأن الدراسة لا تتسع لتناول كل الآيات التي وقع التّضمين فيها، وكذا اختلافات تفسيرها.
- حاولت الباحثة ترجيح بعض الآراء التي تناولت التّضمين من خلال الآيات الكريمة.
- عزو الآيات القرآنية إلىٰ سورها مع النّص علىٰ رقم الآية.
- تخريج الأحاديث الواردة في الدراسة من مصادرها المعتمدة.
- الترجمة للأعلام غير المشهورين شهرة واسعة من مصادر الترجمة المعتمدة.
- عرض الآراء، ومناقشتها، وترجيح ما يبدو قويًّا منها بالأدلة والبراهين.
- تخريج الأشعار من المصادر المعتمدة، وبيان ما في بعضها من اختلاف في الرواية، والبحر العروضي، والقائل، إن وجد، وبيان الشاهد، أو الشواهد المتعددة في الأبيات مناط الدراسة.

وكان من أهم المراجع التي اعتمدت عليها الباحثة:

"**الجامع لأحكام القرآن**" للقرطبي، و"**المفصل**" لابن يعيش، و"**التضمين النحوي في القرآن الكريم**" لمحمد نديم فاضل، و"**التضمين النحوي في حروف الجر وأثره في تغيير المعنى**" لبلال نجم عبد الخالق.

أمّا عن الصعوبات التي واجهتها الباحثة:

فتمثَّل أهمها في التّعامل بحرص شديد علىٰ تقديم الشروح الخاصة بالآيات، وتفسير الظّواهر من وجهة نظر المفسرين والنحاة، لاسيما أننا بصدد الوقوف علىٰ معاني القرآن الكريم، والحقيقة أنّ "القرآن وتفسيره علىٰ وجه القطع لا يُعلم إلا بأن يُسمع من الرسول – عليه السلام – وذلك مُتعذر إلا في قلائل، فالعلم بالمراد يُستنبط بأمارات ودلائل، والحكمة فيه أن الله تعالىٰ أراد أن يتفكَّر عباده في كتابه"[(١)]، ومن صعوبات الدّراسة تداخل مفهوم التّضمين مع بعض المفاهيم النحوية الأخرىٰ.

خطة الدراسة:

جُعلت الدّراسة علىٰ قسمين؛ **أولًا** القسم النظري، **ثم** القسم التّطبيقي، وقد توزّعت علىٰ الشّكل الآتي: المقدّمة، تلاها **المبحث الأول**، وفيه وقوف علىٰ عتبات المفاهيم والمصطلحات، وبيان لموقف النحاة والمفسرين منه، ثمّ **المبحث الثّاني**، واشتمل علىٰ القسم التطبيقي، وفيه وقوف علىٰ الآيات التي ذكرها المفسرون في سورة البقرة والتي حوت دلالات التّضمين، مبينًا أثر القول بالتّضمين في تفسيرها مع رجحان التّضمين فيها أو عدمه، تليها **الخاتمة وفهارس** السور القرآنية والأحاديث والمصادر والمراجع.

(١) الزركشي، أبو عبد الله بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر الزركشي (ت ٧٩٤هـ)، "**البرهان في علوم القرآن**"، تحقيق: أبو الفضل الدمياطي، الناشر: دار الحديث القاهرة، ١٤٢٧ه، ٢٠٠٦م، ص ٢٤.

المبحث الأول:

التّضمين النحوي ودلالته في القرآن الكريم وموقف النّحاة والمفسرين منه

المطلب الأول: التضمين لغة واصطلاحاً

التضمين لغةً:

إيقاع لفظٍ موقع غيره ومعاملته لتضمّنه معناه واشتماله عليه[١].

قال الجوهري[٢]: "ضمّنت الشّيء ضمانًا، به فأنا ضامن وضمين، وضمنته الشيء تضمينًا فتضمنته عني به مثل غرمته، وكلّ شيء جعلته في وعاء فقد ضمنته إياه، وفهمت ما تضمنه كتابك، أي ما اشتمل عليه وكان في ضمنه، وأنفذته ضمن كتابي، أي في طيه"[٣].

---

(١) نخبة من اللغويين بمجمع اللغة العربية بالقاهرة، "**المعجم الوسيط**"، الناشر: مجمع اللغة العربية، القاهرة، الطبعة الثانية، كُتِبَتْ مقدمتُها ١٣٩٢ هـ ١٩٧٢ م، وصَوَّرَتْها: دار الدعوة بإستانبول، ودار الفكر ببيروت، وغيرهما كثير، (١/ ٤٥٥).

(٢) الجوهري، أبو نصر إسماعيل بن حماد التركي الأتراري نسبة لمدينة (فاراب)، إمام اللغة مصنف كتاب (الصحاح)، كان يحب الأسفار والتغرب، مات مترديًا من سطح دار بنيسابور عام (٣٩٣ ه)، قيل عام (٤٠٠ هـ).

يُنظر: شمس الدين الذهبي، شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي (ت ٧٤٨ هـ)، "**سير أعلام النبلاء**"، تحقيق: مجموعة من المحققين بإشراف الشيخ شعيب الأرناؤوط، تقديم: بشار عواد معروف، الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة الثالثة، ١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥م، (١٧/ ٨٠).

(٣) الأزهري، محمد بن أحمد بن الأزهري الهروي، أبو منصور (ت ٣٧٠هـ)، "**تهذيب اللغة**"، المحقق: محمد عوض مرعب،
الناشر: دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الأولىٰ، ٢٠٠١م، (٢/ ٤٩).

التضمين اصطلاحًا: ذكر الأشموني التضمين مبيّنًا معناه بأنه: "إشراب اللفظ معنىٰ لفظ آخر وإعطاؤه حكمه لتصير الكلمة تؤدي مؤدّىٰ كلمتين"(١)

ورأىٰ ابن هشام أن النحاة: "قد يشربون لفظًا بمعنىٰ لفظ فيعطونه حكمه، ويُسمَّىٰ لذلك تضمينًا"(٢).

فالتضمين: "هو أن تضمن فعلًا معنىٰ فعل لإفادة معنىٰ الفعلين، فتعديه أيضًا تعديته في بعض المواطن"(٣)، كقول الشاعر(٤):

قد قتل الله زيادًا عني(٥).

---

(١) الأشموني، علي بن محمد بن عيسىٰ، أبو الحسن، نور الدين الأُشْمُوني الشافعي (ت ٩٠٠هـ)، "**شرح الأشموني**"، الناشر: دار الكتب العلمية بيروت- لبنان، الطبعة الأولىٰ، ١٤١٩هـ- ١٩٩٨م، ج٢، ص ٢٤٤.

(٢) ابن هشام الأنصاري (٧٦١ ه)، **مغني اللبيب عن كتب الأعاريب"**، تحقيق وتعليق: بركات يوسف هبود، الناشر: شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ١٤١٩ه، ١٩٩٩م، المجلد الثاني ص ٦٠.

(٣) العز بن عبد السلام، عز الدين عبد العزيز بن عبد السلام السلمي الدمشقي الشافعي، "**مجاز القرآن**"، تحقيق: مصطفىٰ محمد الذهبي (٥٧٧ - ٦٦٠ه)، الناشر: مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي، لندن، ١٤١٩هـ، ١٩٩٩م، ص ٢٦٢.

(٤) الفرزدق: هَمَّام بن غالب بن صعصعة التميمي الدارمي، أبو فراس، الشهير بالفرزدق، شاعر، من النبلاء، من أهل البصرة، عظيم الأثر في اللغة من شعراء الطبقة الأولىٰ، وفي شرح نهج البلاغة: كان الفرزدق لا ينشد بين يدي الخلفاء والأمراء إلا قاعداً، وأراد سليمان بن عبد الملك أن يقيمه فثارت طائفة من تميم، فأذن له بالجلوس! وقد جمع بعض شعره في (ديوان - ط).

(٥) البيت من بحر الرجز، صدر البيت: كيف تراني قالبًا مجني.

ينظر: جرير بن عطية الخطفي، "**ديوان جرير**"، الناشر: دار بيروت للطباعة والنشر، ١٤٠٦ - ١٩٨٦، ص ٩٣.

موطن الشاهد: (قد قتل الله زيادًا عني).

وقد ذكر ابن جني[١] في الخصائص أن: "قتل" لا يحتاج إلىٰ "عن" ولا غيرها، ولكن لما كان الله تعالىٰ قد صرف عنه حين قتله، أجرىٰ قتل مجرىٰ صرف"[٢].

حمل الفعل "قتل" علىٰ معنىٰ صرف وعداه بحرفه، أي: صرفه عني، ينظر في ذلك: محمود عكاشة، "الحمل علىٰ ألفاظ والمعنىٰ في القرآن الكريم"، في ضوء القياس علىٰ المشهور والنادر، الناشر: الأكاديمية الحديثة للكتاب الجامعي، الطبعة الأولىٰ، القاهرة، ٢٠٠٩، ص ٢٢٥.

قتل: قد يتعدىٰ بعن علىٰ تضمينه معنىٰ صرف، ينظر: سعيد الخوري الشرتوني اللبناني، **"أقرب الموارد في فصح العربية والشوارد"**، إصدار أصلي من جامعة ميتشيغان، ١٩٩٢، مادة: قتل، ص ٣٣٣.

وجه الاستشهاد: تضمين فعل "قتل" معنىٰ فعل "صرف"؛ لأن المعنىٰ: قد صرف الله زيادًا عني، وحكم مثل التضمين كثير شائع في اللغة. ينظر: ابن هشام الأنصاري (٧٦١ هـ)، **"مغني اللبيب عن كتب الأعاريب"**، تحقيق وتعليق: بركات يوسف هبود، الناشر: شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ١٤١٩ه، ١٩٩٩م، المجلد الثاني، ص ٣٧٣،

(١) ابنُ جِنّي هو اللغويُّ، والنحويُّ عُثمانُ بنُ جِنّي الموصليّ، يُكنَّىٰ بأبي الفتح، و يُلقَّب بابن جنّي، وُلِد في العامِ ثلاثمئةٍ وواحدٍ وعشرين للهجرةِ، وقِيل بعدَ ذلك بعامٍ. كرَّسَ ابن جنّي حياتَه لطلبِ العِلم، والاستماعِ إلىٰ الشيوخِ، والعلماءِ؛ فأتقنَ علومَ النحو، والأدبِ، والتصريفِ، ووضعَ في ذلك العديدَ من الكُتُبِ، والمُؤلَّفات، كما أنّه تميّزَ بشخصيّةٍ علميّةٍ رائعةٍ، وكان بارزاً مُتفرِّداً بإنجازاتِه، وأمانتِه العلميّة، فكان يأتي بما لم يسبقه إليه أحد، ويُذكَر أنّه قضىٰ سنواتِ حياتِه الأخيرةِ في بغدادَ إلىٰ أن تُوفِّيَ في شهرِ صفرَ من العامِ ثلاثمئةٍ واثنين وتسعين للهجرة.

(٢) ابن جني، أبو الفتح عثمان بن جني الموصلي (ت ٣٩٢هـ)، **"الخصائص"**، الناشر: الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، الطبعة الرابعة، (د. س)، ج ٢، ص ٣١٠.

وقد أورد مجمع اللغة العربية قرار التضمين ٧/ ١٩٣٤م، بتعريفه وشروطه، فالتضمين كما أورده المجمع هو[١]: أن يؤدي فعل أو فيما معناه مؤدّىٰ فعل آخر أو ما في معناه فيعطي حكمه في التعدية واللزوم، كما أنه قياسي لا سماعي، بشروط وهي:

أولًا: تحقق المناسبة بين الفعلين أو ما في معناهما.

ثانيًا: وجود قرينة تدل علىٰ ملاحظة الفعل الآخر ويؤمن معها اللبس.

ثالثًا: ملاءمة التضمين للذوق العربي.

(١) يُنظر: مجلة مجمع اللغة العربية بالقاهرة، قرار التضمين، (١/ ٣٣).

قرار مجمع اللغة العرية في القاهرة في دور الانعقاد الأول، وقد اتفق أكثر أعضاء مجمع اللغة العربية علىٰ هذا.

المطلب الثّاني: التّضمين النّحوي ودلالته في القرآن الكريم

يجعل التّضمين من اللفظ رعشات بيان تنبثق مثل أشعّة من نور المادة اللّغويّة، كأنه ينبوعٌ يتدفّق أو جدولٌ ماء يترقّرق. فهو يبتكر معانٍ جديدة ويزيّن اللّفظ بأثواب بهيجة. من يُفضّل الاستمرار في دراسة هذا الفن اللّغوي والانصات له بصبر، يجد نفسه يذوق لذّة الاستمتاع والانبهار به، تمامًا كمن يتذوّق الشّهد فتنتابه معرفةٌ تامّة بطعمه اللّذيذ(١).

وللتضمين صورٌ متنوعة، فقد يكون بين فعلين، بأن يتضمن فعل معنىٰ فعل آخر، وأحيانًا يقع التّضمين بين اسمين، كما يقع التّضمين بين حروف الجر، ونجده تارة أخرىٰ واقعًا بين الاسم والفعل، مثل اسم الفاعل. وله عدّة فوائد، أهمها ما يترتب عليه من فهم لآيات القرآن الكريم؛ فمقاصد الشريعة مبنية علىٰ معاني الحروف، ومن ثم كان من الضروري إيضاح ما للتضمين النحوي من دلالات في القرآن الكريم، **ومن أهم تلك الدلالات:**

أن اللفظة الواحدة التي يشتملها مفهوم التّضمين تأتي لمعانٍ متعددة، والإيجاز في اللغة حذف زيادات الألفاظ، كما أن التّضمين يؤدي إلىٰ اتساع دلالة الألفاظ، ومن ثمّ اتساع لدلالات اللغة، واستيعابها لمعانٍ شتىٰ، فاستعمال التّضمين النحوي يجعل من اللفظ زيادة في التوكيد والتنبيه.

التّضمين موضوع مهم في اللغة العربية، ويختلف العلماء في تصنيفه وتحديد طبيعته؛ فهناك من يرونه حقيقة بحد ذاتها، وآخرون يعدّونه مجازًا، بينما يرىٰ

---

(١) محمد نديم فاصل، **"التّضمين النحوي في القرآن الكريم"**، الناشر: دار الزمان للنشر والتوزيع، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية، الطبعة الأولىٰ، ١٤٢٦ه، ٢٠٠٥م، ص٢٠.

البعض الآخر أنه كناية. وقال بعض العلماء أن التّضمين يجمع بين الحقيقة والمجاز، متبعين الأسلوب الأصولي الذي لا يُقيّد العلاقة بحيث تمنع الدلالة الحقيقية. وهكذا، يعدّون التّضمين حقيقة تُلمَح لأمرٍ غيرها من دون أن تُنفىٰ إرادة المعنىٰ الحقيقي للكلمة(١).

الهدف من التّضمين هو التّحقيق في الإيجاز، ويتمثل ذلك بتخطي الفعل بالحرف، سواء أكان الحرف يتعدىٰ بذاته أو يتعدىٰ بالفعل. وشرط التضمين هو وجود ارتباط مناسب بين الفعلين. يُلحظ أنه أصبح التضمين من الطرق الشائعة في النصوص المنظومة والمنثورة، مما يشير إلىٰ أنه أصبح متاحًا لكل من يتحدث بالعربية، شريطة أن يحافظ علىٰ الشرط الواجب توفره لتنفيذ هذه الصيغة اللغوية Top of Form(٢).

كما إن الغرض الدلالي من التّضمين النحوي في القرآن الكريم – والله أعلم – أنه للتوسّع في المعنىٰ دونما أي زيادة في الألفاظ، ويعدُّ هذا من سحر اللغة وفصاحتها، حيث إن تضمين حرف معنىٰ حرف آخر وكذلك الأسماء والأفعال، أضاف إلىٰ المعنىٰ، دونما أن تحدث أي زيادة في الكلمات أو الألفاظ.

(١) حسين والي، **التّضمين**"، الناشر: مجلة المجمع اللغوي، (د ١ جلسة ١٦ – محاضر الجلسات).

(٢) محمد الخضر حسين، "**دراسات في العربية وتاريخها**"، الناشر: المكتب الإسلامي، دمشق، سوريا، ١٣٨٠ هـ ١٩٦٠م، الطبعة الثانية، ص ٢٠٧.

المطلب الثالث: موقف المفسّرين والنّحاة من التّضمين

أولًا: موقف المفسرين

التّضمين فنّ عميق، يتطلب فهمًا متقنًا للصناعة اللغوية ودراية عالية في التأويل. يُجسِّد النبي - ﷺ - تلك الصفات في السماء السّاطعة، حيث يكشف عن الحق وينطق به. كشفت عنه الحجج، فأبصر الحقائق بثبات ويقين، لذا فما ينطق عن الهوىٰ، بل هو وحي يوحىٰ إليه علمه شديد القوىٰ[(١)].

قال الزركشي: "إن التّضمين يكون في الأفعال والأسماء والحروف، ففي الأسماء، كما في قوله تعالىٰ: ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى يَقۡبَلُ ٱلتَّوۡبَةَ ﴾ (سورة الشورىٰ: ٢٥) فضمن التوبة معنىٰ العفو والصفح، وفي الأفعال كما في قوله تعالىٰ: ﴿ لِّلَّذِينَ يُؤۡلُونَ مِن نِّسَآئِهِمۡ تَرَبُّصُ أَرۡبَعَةِ أَشۡهُرٖۖ ﴾ (سورة آل عمران: ٥٢) ، ضمن يؤلون معنىٰ يمتنعون من وطئهن بالألية، أما التّضمين في الحروف كما في قوله تعالىٰ: قوله تعالىٰ: ﴿فَلَمَّآ أَحَسَّ عِيسَىٰ مِنۡهُمُ ٱلۡكُفۡرَ قَالَ مَنۡ أَنصَارِيٓ إِلَى ٱللَّهِۖ﴾ [سورة آل عمران:٥٢] ، فتضمن حرف إلىٰ معنىٰ مع، أي مع الله"[(٢)]، وغيرها الكثير من الأمثلة التي أوردها الزركشي والقرطبي والطبري، وغيرهم من المفسرين.

وذكر الزمخشري التّضمين في تفسيره، مفسِّرًا قوله تعالىٰ: ﴿ أُحِلَّ لَكُمۡ لَيۡلَةَ ٱلصِّيَامِ ٱلرَّفَثُ إِلَىٰ نِسَآئِكُمۡۚ ﴾ (سورة البقرة: آية ١٨٧) أن لفظة الرفث

---

(١) محمد نديم فاصل، "**التّضمين النحوي في القرآن الكريم**"، **الناشر: دار الزمان للنشر والتوزيع، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية**، الطبعة الأولىٰ، ١٤٢٦ه، ٢٠٠٥م، ص٦٣٤.

(٢) الزركشي، أبو عبد الله بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر الزركشي (ت ٧٩٤هـ)، "**البرهان في علوم القرآن**"، تحقيق: أبو الفضل الدمياطي، الناشر: دار الحديث القاهرة، ١٤٢٧ه، ٢٠٠٦م، ص ٣٣٨.

تضمَّنت معنىٰ الإفضاء ولذلك تعدَّت بحرف الجر إلىٰ، متابعًا في ذلك ابن جني[١] فقال: "فإن قلت: لم عدىٰ الرفث بـ إلىٰ؟ قلت: لتضمينه معنىٰ الإفضاء"[٢]. معتمدًا في تفسيره علىٰ التّضمين النحوي، مثل معظم المفسرين، وإن اختلف تعبيرهم عن التّضمين باختلاف الألفاظ، فنجد القرطبي يذكر التّضمين بلفظة المحمول، حين فسَّر قوله تعالىٰ: ﴿ أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ ٱلصِّيَامِ ٱلرَّفَثُ إِلَىٰ نِسَآئِكُمْ ﴾(سورة البقرة: آية ١٨٧).

إذن، فالتّضمين اعتدَّ به جمهور المفسرين، وإن لم يُصرّحوا باللفظ صراحةً، وعلىٰ رأسهم الطبري، وكذلك الزمخشري الذي يُعدُّ أول من وضع مفهوم التّضمين، كما أننا نجد منهم من عبَّر عنه بلفظة المحمول، ومنهم من ذكره صراحة بلفظة التّضمين، وما شابه ذلك من ألفاظ.

ثانيًا: موقف النّحاة

بدايةً كان علماء النّحو يعتدون بالتّضمين في الحروف، كما في قوله تعالىٰ: ﴿وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِي جُذُوعِ ٱلنَّخْلِ﴾ [سورة طه:٧١] (سورة طه: آية ٧١)، وقد ذكر الخليل أن معنىٰ "في جذوع النخل" أي "علىٰ جذوع النخل"[٣]، وذلك يعني تناوب حروف الجر بعضها بعضًا، ونجد المبرد ذاكرًا تناوب تلك الحروف في كتابه حين قال: "وحروف الخفض يبدل بعضها من بعض إذا وقع الحرفان في معنىٰ

(١) ينظر: ابن جني، "**الخصائص**"، مرجع سبق ذكره، ج٢، ص ٣٠٨.

(٢) الزمخشري، "**الكشاف**"، مرجع سبق ذكره، ج١، ص ٣٣٨.

(٣) ينظر: الخليل، الخليل بن أحمد الفراهيدي، (ت ١٧٠ هـ)، "**العين**"، تحقيق: د. عبد الحميد هنداوي، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الأولىٰ، ١٤٢٤ه/ ٢٠٠٣م، الجزء الثالث، باب الفاء، ص ٣٠٢.

في بعض المواضع، كما في قوله تعالىٰ: ﴿ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِي جُذُوعِ ٱلنَّخْلِ﴾ [سورة طه: ٧١] (سورة طه: آية ٧١)، أي علىٰ"[١].

ويعد الخليل بن أحمد الفراهيدي من أوائل من فتح باب القول بالتّضمين من أئمة النحاة، وكذلك سيبويه حيث ذكر في الكتاب: "وياء الجر إنما هي للإلزام والاختلاط وذلك قولك: خرجت بزيد ودخلت به وضربته بالسوط فما اتسع من هذا الكلام فهذا أصله"[٢]، حيث إنهم عملوا به، كما أنهم خرَّجوا عليه كثيرًا من الشواهد في كتبهم[٣].

ومن الواضح أن العلماء كانوا يعتدون بالتّضمين في الأفعال بشكلٍ أوسع، ويتضح ذلك من خلال كتبهم، فنجد القاضي ابن العربي يذكر التّضمين النحوي علىٰ أنه في الأفعال بشكلٍ أوسع وأقيس؛ قائلًا عنه: "والتّضمين في الفعل أقيس وأوسع، وكذلك عادة العرب أن تحمل معاني الأفعال علىٰ الأفعال لما بينهما من الارتباط والاتصال، وجهلت النحوية هذا، فقال كثيرٌ منهم: إن حروف الجر يبدل بعضها من بعض ويحمل بعضها معاني البعض، فالتّضمين في الحروف مرذول مطرح"[٤].

---

(١) المبرد، محمد بن يزيد المبرد، أبو العباس (ت ٢٨٥هـ)، "**الكامل في اللغة والأدب**"، المحقق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الناشر: دار الفكر العربي – القاهرة، الطبعة الثالثة ١٤١٧ هـ – ١٩٩٧م، ج٣، ص ٩٧.

(٢) سيبويه، أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر (١٨٠هـ)، "**الكتاب**"، ط١، بولاق، المطبعة الكبرىٰ الأميرية، ١٣١٧هـ، ج٤، ص ٢١٧.

(٣) ينظر: سعيد الأفغاني، "**أصول النحو**"، الناشر: المكتب الإسلامي، ١٤٠٧، ١٩٨٧، ص ٢١١.

(٤) الجصاص، أحمد بن علي أبو بكر الرازي الجصاص الحنفي (ت ٣٧٠هـ)، "**أحكام القرآن**"، المحقق: محمد صادق القمحاوي – عضو لجنة مراجعة المصاحف بالأزهر الشريف، الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت، ١٤٠٥ هـ (١/ ١٧٧).

يتجلّىٰ الفرق بين مذهب الكوفيين الذين يرون أن حروف الجر قد ينوب البعض عن بعضها الآخر، أما مذهب البصريين فيبقي الحرف علىٰ موضوعه الأول، إما بتأويل يقبله اللفظ أو تضمين الفعل معنىٰ فعل آخر يتعدىٰ بذلك الحرف، وما لا يمكن فيه ذلك فهو من وضع أحد الحرفين موضع الآخر علىٰ سبيل الشذوذ[١].

إلا أن للبصريين مذهبًا مغايرًا بالنسبة لإنابة الحروف بعضها عن بعضها الآخر؛ إذ يرون: "أن أحرف الجر لا ينوب عن بعض بقياس كما أن أحرف الجزم وأحرف النصب كذلك"[٢]، أما قولهم عن قوله تعالىٰ: ﴿ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِي جُذُوعِ ٱلنَّخْلِ﴾ [سورة طه:٧١] (سورة طه: آية ٧١)، إن "في" ليست بمعنىٰ "**على**"، ولكنه شبَّه المصلوب لتمكنه من الجذع بالحال في الشيء[٣]، إذ جاء في حاشية الصبان عن مذهب البصريين في إنابة الحروف: "أن حروف الجر لا ينوب بعضها عن بعض قياسًا، كما لا تنوب حروف الجزم والنصب عن بعض، وما أوهم ذلك محمول علىٰ تضمين الفعل معنىٰ فعل يتعدىٰ بذلك الحرف أو شذوذ النيابة، فالتجوز عندهم في غير الحرف أو في الحرف لكن علىٰ الشذوذ، وجوزه الكوفيون واختار

---

(١) المرادي، أبو محمد بدر الدين حسن بن قاسم بن عبد الله بن عليّ المرادي المصري المالكي (المتوفىٰ: ٧٤٩هـ)،" **توضيح المقاصد والمسالك بشرح ألفية ابن مالك**"، شرح وتحقيق: عبد الرحمن علي سليمان، أستاذ اللغويات في جامعة الأزهرالناشر: دار الفكر العربي، الطبعة الأولىٰ ١٤٢٨ هـ، ٢٠٠٨م، ج٢، ص ٧٦٦.

(٢) ابن السراج، أبو بكر محمَّد بن السري بن السراج (٣١٦هـ)، "**الأصول في النحو**"، تحقيق: د عبد الحسين الفتلي، الناشر: مؤسسة الرسالة، ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م، ج١، ص ٤١٠.

(٣) ينظر: ابن الشراج، "**الأصول في النحو**"، مرجع سبق ذكره، ص ٤١٥.

بعض المتأخرين نيابة بعضها عن بعض قياسًا كما في التصريح والمغني، وإن اقتضىٰ كلام البعض خلافه فالتجوز عندهم في الحرف"[١].

يتضح لنا أن التّضمين لم يقل به النحاة جميعًا، ومن قال به أمثال: الخليل، وسيبويه، وابن القيم، وابن جني، وغيرهم، ومنهم ما لم يقل به وعوضًا عنه قالوا: بتناوب الحروف.

(١) الأشموني، أبو الحسن، علي بن محمد بن عيسىٰ، أبو الحسن، نور الدين الأُشْمُوني الشافعي (ت ٩٠٠هـ)، "**شرح الأشموني على ألفية ابن مالك**"، الناشر: دار الكتب العلمية بيروت، لبنان، الطبعة الأولىٰ ١٤١٩هـ، ١٩٩٨م، ج ٣، ص ٢٠.

المبحث الثاني:

دراسة تحليلية تطبيقية للتضمين (سورة البقرة أنموذجًا)

تمهيد

تعد سورة البقرة وهي سورة مدنيَّة[١]، من السّور الطوال، وهي حيث الترتيب في المصحف، أول سورة نزلت بالمدينة، تبدأ بحروف مقطعة "ألم"، فيها أطول آية في القرآن وهي آية الدين رقم (٢٨٢)، فيها أعظم آية وهي آية الكرسي[٢]، عدد أحرفها خمسة وعشرون ألفًا وخمسمائة حرف، وكلماتها ستة آلاف ومائة وعشرون كلمة، ومائتان وستة وثمانون آية[٣].

(١) سُمِّيت بذلك لأنها انفردت بذكر قصة البقرة التي كلَّف قوم موسىٰ بذبحها بعد أن قتل فيهم قتيل ولم يعرفوا قاتله، ووصف بأنها بفسطاط القرآن، وسنامه وذروته، وقال عنها علي بن أبي طالب -رضي الله عنه-: "إنها سيدة سور القرآن"، وقال بعض العلماء: "إنها تشتمل علىٰ ألف خبر، وألف أمر، وألف نهي"؛ وهي السورة ٨٧ في ترتيب نزول سور القرآن، نزلت بعد سورة المطففين وقبل آل عمران، وقال مالك -رحمه الله-: "بلغني أن عبد الله بن عمر – رضي الله عنهما – مكث علىٰ سورة البقرة ثماني سنين يتعلمها".
ينظر: الملا علي القاري، علي بن (سلطان) محمد، أبو الحسن نور الدين الملا الهروي القاري (ت ١٠١٤هـ)، "فيض المعين علىٰ جمع الأربعين في فضل القرآن المبين"، تحقيق وتخريج: محمد شكور بن محمود الحاجي أمرير الميادیني، الناشر: مكتبة المنار، الزرقاء – الأردن، الطبعة الأولىٰ، ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧م، ص ٣٦.

(٢) ينظر: السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (ت ٩١١هـ)، "**الدرر المنثور**"، الناشر: دار الفكر – بيروت، ٢٠١١م، ص ٤٦.

(٣) ينظر: ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (ت ٧٧٤ هـ)، "**تفسير ابن كثير**"، المحقق: محمد حسين شمس الدين، الناشر: دار الكتب العلمية، منشورات محمد علي بيضون – بيروت، الطبعة الأولىٰ، ١٤١٩ ه، ج١، ص ٦١.

وقد وقع الاختيار علىٰ سورة البقرة تيمُّنًا ببركتها فأخذُها بركة، فقد قال الإمام أحمد في مسنده[١]: حدثنا أبو نعيم حدثنا بشر بن مهاجر حدثني عبد الله بن بريدة عن أبيه قال: "تَعلَّموا سُورةَ البقرةِ؛ فإنَّ أَخْذَها بَرَكةٌ، وتَرْكَها حَسْرةٌ، ولا يستطِيعُها البَطَلَةُ، ثمَّ سكَت ساعةً، ثمَّ قال: تَعلَّموا سورةَ البقَرةِ وآلِ عِمْرانَ؛ فإنَّهما الزَّهْراوَانِ، يُظِلَّانِ صاحبَهما يومَ القيامةِ كأنَّهما غَمَامتانِ أو غَيَايَتانِ أو فِرْقَانِ مِن طَيْرٍ صوَافَّ"[٢].

وتُعدُّ سورة البقرة من السور الطوال ومن خلالها، يتسنىٰ تطبيق دراسة التضمين فيها علىٰ أكبر عدد ممكن من الآيات، كما أنها من السور الغنية بشتىٰ الظواهر النحوية، وتُعدُّ ظاهرة التّضمين من أهم الظواهر التي اشتملتها. هذا وقد

---

(١) ولد أحمد بن حنبل سنة ١٦٤ هـ في بغداد ونشأ فيها يتيمًا، وقد كانت بغداد في ذلك العصر حاضرة العالم الإسلامي، تزخر بأنواع المعارف والفنون المختلفة، وكانت أسرة أحمد بن حنبل توجهه إلىٰ طلب العلم، وفي سنة ١٧٩ هـ بدأ ابن حنبل يتَّجه إلىٰ الحديث النبوي، فبدأ يطلبه في بغداد عند شيخه هُشَيم بن بشير الواسطي حتىٰ توفي سنة ١٨٣ هـ، فظل في بغداد يطلب الحديث حتىٰ سنة ١٨٦ هـ، ثم بدأ برحلاته في طلب الحديث، فرحل إلىٰ العراق والحجاز وتهامة واليمن، وأخذ عن كثير من العلماء والمحدثين، وعندما بلغ أربعين عامًا في سنة ٢٠٤ هـ جلس للتحديث والإفتاء في بغداد، وكان الناس يجتمعون علىٰ درسه حتىٰ يبلغ عددهم قرابة خمسة آلاف.

يعد الإمام أحمد بن حنبل، رابع الأئمة الأربعة عند أهل السنة والجماعة، وصاحب المذهب الحنبلي في الفقه الإسلامي، اشتُهر بعلمه الغزير وحفظه القوي، وكان معروفًا بالأخلاق الحسنة كالصبر والتواضع والتسامح، وقد أثنىٰ عليه كثير من العلماء منهم الإمام الشافعي.

(٢) أحمد بن حنبل، الإمام أحمد بن حنبل (١٦٤ - ٢٤١ هـ)، "**مسند الإمام**"، المحقق: شعيب الأرنؤوط - عادل مرشد، وآخرون، إشراف: د عبد الله بن عبد المحسن التركي، الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولىٰ، ١٤٢١ هـ - ٢٠٠١ م، حديث رقم: ٢٢٤٤١، ج٥، ص ٣٤٨.

ورد التّضمين النحوي في اللغة، في الاسم والفعل والحرف، وهو ما حاولتُ تطبيقه علىٰ سورة البقرة، لذا فصَّلتُ السورة؛ من حيث وجود التّضمين بآياتها في الفعل والاسم والحرف، ودلالته البلاغية.

من هنا، كان الوقوف علىٰ ستين آية من سورة البقرة، لاستعراض معنىٰ التّضمين فيها في كلّ آية، سواء أكان في الفعل أم الاسم أم الحرف، ثم تناولت أقوال بعض المفسرين والنحاة لبعض الآيات؛ نظرًا لأن الدراسة لا تتسع لتناول كل الآيات، ومن ثمّ عرض لترجيح رأيٍّ.

المطلب الأول: إحصاء الآيات التي ورد فيها تضمين (للأفعال والأسماء والحروف) في سورة البقرة[1]:

العدد	رقم الآية	الآية	التّضمين
أولًا: تضمين الأفعال			
١	٥	﴿ ٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡغَيۡبِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ ﴾	تضمن الفعل يؤمنون معنى يصدقون
٢	١٤	﴿ وَإِذَا خَلَوۡاْ إِلَىٰ شَيَٰطِينِهِمۡ قَالُوٓاْ إِنَّا مَعَكُمۡ ﴾	تضمن الفعل خلا معنى صرف
٣	٢٦	﴿ ٱللَّهَ لَا يَسۡتَحۡيِۦٓ أَن يَضۡرِبَ مَثَلٗا مَّا بَعُوضَةٗ ﴾	تضمن الفعل يستحي معنى الفعل يمسك
٤	٢٩	﴿ ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَسَوَّىٰهُنَّ سَبۡعَ ﴾	تضمن الفعل استوى معنى قصد
٥	٣٤	﴿ وَإِذۡ قُلۡنَا لِلۡمَلَٰٓئِكَةِ ٱسۡجُدُواْ لِأٓدَمَ فَسَجَدُوٓاْ ﴾	تضمن الفعل اسجدوا معنى تذللوا واخضعوا
٦	٤٤	﴿أَتَأۡمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلۡبِرِّ وَتَنسَوۡنَ	تضمن الفعل تنسون معنى

(١) ينظر: ابن كثير، "**تفسير ابن كثير**"، مرجع سبق ذكره، الجزء الأول، من ص ٦٦/ والقرطبي، "**الجامع لأحكام القرآن**"، مرجع سبق ذكره، الجزء الأول، من ص ١٥٥/ والآلوسي، شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني الألوسي (ت ١٢٧٠هـ)، "**روح المعاني**"، المحقق: علي عبد الباري عطية الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولىٰ، ١٤١٥ه، الجزء الأول، من ص ١٠١/ والزمخشري، "**الكشاف**"، مرجع سبق ذكره، الجزء الأول، من ص ١٦/ الطبري، "**جامع البيان**"، مرجع سبق ذكره، الجزء الأول، من ص ٢٣٠.

ينظر: ابن جني، "**الخصائص**"، مرجع سبق ذكره، الجزء الثاني/ أبو حيان الأندلسي، "**البحر المحيط في التفسير**"، مرجع سبق ذكره، الجزء الأول/ محمد نديم، "**التّضمين القرآني**"، مرجع سبق ذكره، القسم الثاني، من ص ٢٠٧، ابن عاشور، "**التحرير والتنوير**"، الجزء الرابع، من ص ٢٦/ الراغب الأصفهاني، "**تفسير الراغب الأصفهاني**"، مرجع سبق ذكره، الجزء الأول، من ص ١٤٨/ ابن هشام الأنصاري، "**مغني اللبيب عن كتب الأعاريب**"، تحقيق: مازن المبارك محمد علي عبد الله، الناشر: دار الفكر، بيروت، ط ١، ٢٠٠١، الجزء الثاني، من ص ٢٨٩.

العدد	رقم الآية	الآية	التّضمين
		أَنفُسَكُمْ وَأَنتُمْ تَتْلُونَ ٱلْكِتَٰبَ	تتركون
٧	٤٨	﴿ وَٱتَّقُوا۟ يَوْمًا لَّا تَجْزِى نَفْسٌ عَن نَّفْسٍ ﴾	تضمن الفعل تجزي معنى تقضي أو تغن
٨	٦١	﴿ وَبَآءُو بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللَّهِ ﴾	تضمن معنى باءوا انصرفوا ورجعوا
٩	٧١	﴿ قَالَ إِنَّهُۥ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَّا ذَلُولٌ تُثِيرُ ٱلْأَرْضَ ﴾	تضمن الفعل تثير معنى تقلب
١٠	٧٦	﴿ وَإِذَا لَقُوا۟ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَا بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ ﴾	تضمن معنى خلوا ذهبوا وانصرفوا
١١	٨٧	﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ وَقَفَّيْنَا مِنۢ بَعْدِهِۦ بِٱلرُّسُلِ ﴾	تضمن الفعل قفّينا معنى جئنا
١٢	٩٠	﴿ فَبَآءُو بِغَضَبٍ عَلَىٰ غَضَبٍ ﴾	ضمن الفعل باءوا معنى استوجبوا، واستحقوا
١٣	١٠٠	﴿ أَوَكُلَّمَا عَٰهَدُوا۟ عَهْدًا نَّبَذَهُۥ فَرِيقٌ مِّنْهُم ﴾	تضمن الفعل عاهدوا معنى الفعل أعطوا
١٤	١٠٢	﴿ وَٱتَّبَعُوا۟ مَا تَتْلُوا۟ ٱلشَّيَٰطِينُ ﴾	تضمن الفعل تتلوا تكذب
١٥	١٠٥	﴿ وَٱللَّهُ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِۦ مَن يَشَآءُ ﴾	تضمن الفعل يختص معنى ينفرد
١٦	١٣٠	﴿ وَمَن يَرْغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبْرَٰهِـۧمَ إِلَّا مَن سَفِهَ نَفْسَهُۥ ﴾	تضمن الفعل سفه معنى جهل
١٧	١٤٣	﴿ وَمَا جَعَلْنَا ٱلْقِبْلَةَ ٱلَّتِى كُنتَ عَلَيْهَآ إِلَّا لِنَعْلَمَ مَن يَتَّبِعُ ٱلرَّسُولَ مِمَّن يَنقَلِبُ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ ﴾	تضمن الفعل لنعلم معنى لنرى
١٨	١٤٨	﴿ وَلِكُلٍّ وِجْهَةٌ هُوَ مُوَلِّيهَا فَٱسْتَبِقُوا۟ ٱلْخَيْرَٰتِ أَيْنَ مَا تَكُونُوا۟ يَأْتِ بِكُمُ ٱللَّهُ جَمِيعًا ﴾	تضمن الفعل استبقوا معنى الابتدار
١٩	١٧٨	﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِصَاصُ فِى ٱلْقَتْلَى ﴾	تضمن الفعل كُتب معنى فُرض
٢٠	١٨٣	﴿ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلصِّيَامُ ﴾	تضمن الفعل كُتب معنى فُرض
٢١	١٨٥	﴿وَلِتُكَبِّرُوا۟ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمْ	تضمن الفعل كبروا معنى احمدوا

العدد	رقم الآية	الآية	التضمين
		﴿ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾	
٢٢	١٩٥	﴿ وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ ﴾	تضمن الفعل تُلقوا معنى تُفضوا
٢٣	٢٢٠	﴿ وَاللَّهُ يَعْلَمُ الْمُفْسِدَ مِنَ الْمُصْلِحِ ﴾	تضمن الفعل يعلم معنى يميز
٢٤	١٨٩	﴿ وَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا ﴾	تضمن الفعل أتوا معنى باشروا
٢٥	٢٢٠	﴿ وَإِنْ تُخَالِطُوهُمْ فَإِخْوَانُكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ الْمُفْسِدَ مِنَ الْمُصْلِحِ ﴾	تضمّن الفعل يعلم معنى يُميِّز
٢٦	٢٢٥	﴿ لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ ﴾	تضمن الفعل يؤاخذكم معنى يعاقبكم
٢٧	٢٢٦	﴿ لِلَّذِينَ يُؤْلُونَ مِنْ نِسَائِهِمْ تَرَبُّصُ أَرْبَعَةِ أَشْهُرٍ ﴾	تضمن الفعل يؤلون معنى يمتنعون
٢٨	٢٢٧	﴿ وَإِنْ عَزَمُوا الطَّلَاقَ فَإِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾	تضمن الفعل عزم معنى نوى
٢٩	٢٣٥	﴿ وَلَا تَعْزِمُوا عُقْدَةَ النِّكَاحِ ﴾	تضمن الفعل تعزموا معنى تنووا
٣٠	٢٢٦	﴿ وَلَا تُمْسِكُوهُنَّ ضِرَارًا لِتَعْتَدُوا ﴾	تضمن الفعل تعتدوا معنى تظلموهن لتلجؤهن
٣١	٢٣٢	﴿ وَإِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا تَعْضُلُوهُنَّ أَنْ يَنْكِحْنَ أَزْوَاجَهُنَّ ﴾	تضمن الفعل تعضلوهن معنى تمنعوهن
٣٢	٢٣٥	﴿ وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا عَرَّضْتُمْ بِهِ مِنْ خِطْبَةِ النِّسَاءِ أَوْ أَكْنَنْتُمْ فِي أَنْفُسِكُمْ ﴾	تضمن الفعل أكننتم معنى أضمرتم
٣٣	٢٤٣	﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ الْمَوْتِ ﴾	تضمن الفعل تر معنى اتعظ
٣٤	٢٤٥	﴿ وَاللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْصُطُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾	تضمن الفعل يقبض معنى يأخذ
٣٥	٢٤٧	﴿ وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِنَ الْمَالِ ﴾	تضمن الفعل يؤتى معنى يتملك

العدد	رقم الآية	الآية	التّضمين
٣٦	٢٥٠	﴿ رَبَّنَآ أَفۡرِغۡ عَلَيۡنَا صَبۡرٗا وَثَبِّتۡ أَقۡدَامَنَا ﴾	تضمن الفعل ثبّت معنى رسِّخ
٣٧	٢٥٩	﴿ فَأَمَاتَهُ ٱللَّهُ مِاْئَةَ عَامٖ ثُمَّ بَعَثَهُۥ ﴾	تضمن الفعل أماته معنى ألبسه
٣٨	٢٥٩	﴿ قَالَ كَمۡ لَبِثۡتَۖ قَالَ لَبِثۡتُ يَوۡمًا أَوۡ بَعۡضَ يَوۡمٖۖ ﴾	تضمن الفعل لبث معنى مكث
٣٩	٢٦٠	﴿ فَخُذۡ أَرۡبَعَةٗ مِّنَ ٱلطَّيۡرِ فَصُرۡهُنَّ إِلَيۡكَ ﴾	تضمن الفعل صرهن قطعهن
ثانيًا: تضميـــــن الأسمـــــاء			
١	٤٤	﴿أَتَأۡمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلۡبِرِّ وَتَنسَوۡنَ أَنفُسَكُمۡ﴾	تضمنت لفظة البر معنى الطاعة والعمل الصالح
٢	٤٥	﴿ وَٱسۡتَعِينُواْ بِٱلصَّبۡرِ وَٱلصَّلَوٰةِۚ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى ٱلۡخَٰشِعِينَ ٤٥ ﴾	تضمنت لفظة كبيرة معنى ثقيلة
٣	٤٥	﴿ وَٱسۡتَعِينُواْ بِٱلصَّبۡرِ وَٱلصَّلَوٰةِۚ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى ٱلۡخَٰشِعِينَ ٤٥ ﴾	تضمنت لفظة الصبر هنا معنى الوفاء
٤	٧١	﴿ ٱلۡـَٰٔنَ جِئۡتَ بِٱلۡحَقِّ ﴾	تضمّن معنى الظرف هنا حرف ال
٥	٨٠	﴿ وَقَالُواْ لَن تَمَسَّنَا ٱلنَّارُ إِلَّآ أَيَّامٗا مَّعۡدُودَةٗۚ قُلۡ أَتَّخَذۡتُمۡ عِندَ ٱللَّهِ عَهۡدٗا فَلَن يُخۡلِفَ ٱللَّهُ عَهۡدَهُۥٓ ﴾	تضمّنت لفظة عهدا معنى الميثاق والإيمان
٦	١٨٧	﴿ أُحِلَّ لَكُمۡ لَيۡلَةَ ٱلصِّيَامِ ٱلرَّفَثُ إِلَىٰ نِسَآئِكُمۡۚ ﴾	تضمنت لفظة الرفث معنى الإفضاء
٧	٢٤٦	﴿ وَءَاتَيۡنَا عِيسَى ٱبۡنَ مَرۡيَمَ ٱلۡبَيِّنَٰتِ ﴾	تضمنت لفظة البيانات معنى الدلائل
٨	٢٢٦	﴿ لِّلَّذِينَ يُؤۡلُونَ مِن نِّسَآئِهِمۡ تَرَبُّصُ أَرۡبَعَةِ أَشۡهُرٖۖ ﴾	تضمن لفظة تربص معنى الانتظار
٩	٢٥٥	﴿ وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفۡظُهُمَاۚ وَهُوَ ٱلۡعَلِيُّ	تضمن لفظ العظيم معنى القدرة

العدد	رقم الآية	الآية	التّضمين
		﴿ ٱلۡعَظِيمُ ﴿٢٥٥﴾ ﴾	
١٠	٢٧٣	﴿ تَعۡرِفُهُم بِسِيمَٰهُمۡ لَا يَسۡـَٔلُونَ ٱلنَّاسَ إِلۡحَافٗاۗ ﴾	تضمنت لفظة إلحافًا معنى الإلحاح
ثالثًا: تضميـــــن الحـــــروف			
١	١٤	﴿ وَإِذَا خَلَوۡاْ إِلَىٰ شَيَٰطِينِهِمۡ ﴾	تضمن الحرف إلى معنى مع
٢	٣٦	﴿ فَأَزَلَّهُمَا ٱلشَّيۡطَٰنُ عَنۡهَا ﴾	تضمن الحرف عن معنى اللام (للتعليل)
٣	٥٠	﴿ وَإِذۡ فَرَقۡنَا بِكُمُ ٱلۡبَحۡرَ ﴾	تضمن حرف الباء معنى اللام (للتعليل)
٤	٥٤	﴿ إِنَّكُمۡ ظَلَمۡتُمۡ أَنفُسَكُم بِٱتِّخَاذِكُمُ ٱلۡعِجۡلَ ﴾	تضمن حرف الباء معنى اللام (للتعليل)
٥	٧٤	﴿ لَمَا يَهۡبِطُ مِنۡ خَشۡيَةِ ٱللَّهِۗ ﴾	تضمن الحرف من معنى اللام
٦	١٠٢	﴿ وَٱتَّبَعُواْ مَا تَتۡلُواْ ٱلشَّيَٰطِينُ عَلَىٰ مُلۡكِ سُلَيۡمَٰنَۖ ﴾	تضمن الحرف على معنى في (للظرفية)
٧	١٩٥	﴿ وَلَا تُلۡقُواْ بِأَيۡدِيكُمۡ إِلَى ٱلتَّهۡلُكَةِۛ وَأَحۡسِنُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ﴾	تضمن حرف الباء هنا معنى السببية
٨	١٨٧	﴿ أُحِلَّ لَكُمۡ لَيۡلَةَ ٱلصِّيَامِ ٱلرَّفَثُ إِلَىٰ نِسَآئِكُمۡۚ ﴾	تضمن حرف إلى معنى الباء
٩	٢٢٢	﴿ فَأۡتُوهُنَّ مِنۡ حَيۡثُ أَمَرَكُمُ ﴾	تضمن حرف من معنى في
١٠	٢٢٦	﴿ لِّلَّذِينَ يُؤۡلُونَ مِن نِّسَآئِهِمۡ ﴾	تضمن الحرف من معنى في
١١	٢٦٥	﴿ وَمَثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمۡوَٰلَهُمُ ٱبۡتِغَآءَ مَرۡضَاتِ ٱللَّهِ وَتَثۡبِيتٗا مِّنۡ أَنفُسِهِمۡ كَمَثَلِ	تضمن الحرف من معنى اللام

العدد	رقم الآية	الآية	التّضمين
		جَنَّٰتٍ بِرَبْوَةٍ	
إجمالي الآيات: ستون آية (٦٠)			

جدول رقم (١) من إعداد الباحثة

شكل رقم (١) من إعداد الباحثة

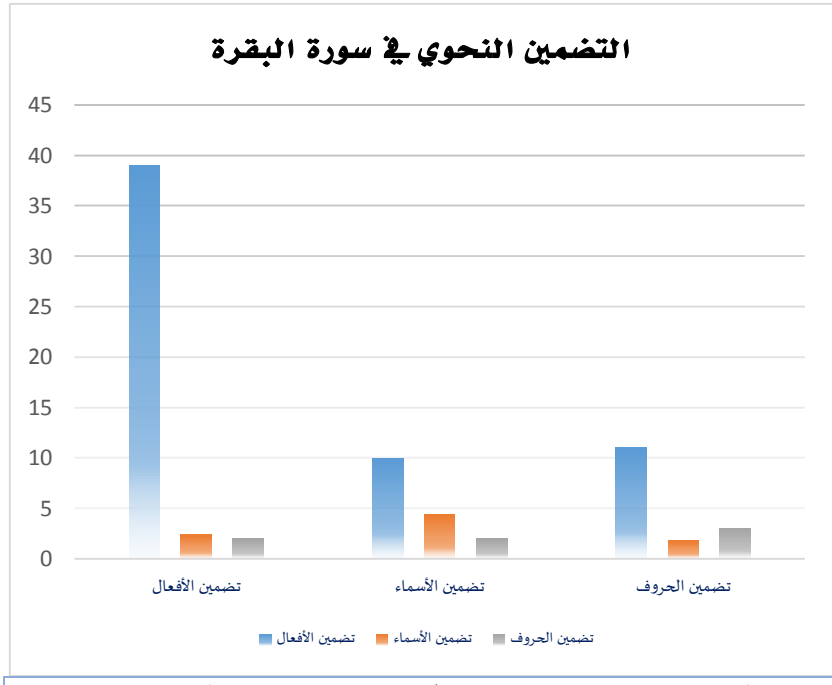

تضمين الأفعال: ٣٩ آية، تضمين الحروف: ١١ آية، تضمين الأسماء: ١٠ آيات

المطلب الثّاني: وقوف على دلالات التّضمين

أولا: التّضمين في الأفعال

انتصر الكثير لنظرية التضمين في الفعل لا الحرف، وقد ورد: أنّه من عادة العرب أن " تحمل معاني الأفعال علىٰ الأفعال لما بينهما من الارتباط والاتصال، وجهلت النحوية هذا، فقال كثيرٌ منهم: "إن حروف الجر يبدل بعضها بعضًا، ويحمل بعضها معاني البعض، فخفي عليهم وضع فعل مكان فعل، وهو أوسع وأقيس، ولجؤوا بجهلهم إلىٰ الحروف التي يضيق فيها نطاق الكلام والاحتمال"[(١)].

فالتّضمين في الأفعال هو أن يتضمن فعل معنىٰ فعل آخر، وبذلك ينتقل الفعل إلىٰ أكثر من درجة، فإن كان لازمًا يصبح بالتّضمين متعديًّا، وإن كان متعديًّا لمفعول به فإنه يتعدىٰ بالتّضمين لأكثر[(٢)].

أورد ابن جني، في كتابه (الخصائص)، قوله عن تضمين الأفعال بعضها لبعضها الآخر، إذ يقول: "اعلم أن الفعل إذا كان بمعنىٰ فعل آخر وكان أحدهما يتعدىٰ بحرف، الآخر بآخر فإن العرب قد تتسع فتوقع أحد الحرفين موقع صاحبه، إيذانا بأن هذا الفعل في ذلك الآخر، لذلك جيء معه بالحرف المعتاد، مع ما هو في معناه"[(٣)].

---

(١) ابن العربي، القاضي محمد بن عبد الله أبو بكر بن العربي المعافري الاشبيلي المالكي (ت ٥٤٣هـ)، "أحكام القرآن"، المحقق: محمد عبد القادر عطا، الناشر: دار الكتب العلمية، ١٤٢٤ – ٢٠٠٣، ط٣، ج١، ص ٢٤٣.

(٢) ينظر: آسيا غروج، "التّضمين في النحو وتطبيقاته في القرآن الكريم"، الناشر: دفاتر تعبر الشعرية الجزائرية، العدد الثالث، ٢٠١٦م، ص ١٠.

(٣) ابن جني، أبو الفتح عثمان بن جني الموصلي (ت ٣٩٢هـ)، "الخصائص"، الناشر: الهيئة المصرية العامة للكتاب،القاهرة، الطبعة الرابعة، (د. س)، ج ٢، ص ٢٠٨.

الهدف من التّضمين هو الإيجاز، والقرينة فيه هي تعدية الفعل بالحرف وهو يتعدىٰ بذاته، أو تعديته بنفسه وهو يتعدىٰ بالحرف، أو تعديته بحرف غير المعتاد، أو يتعدىٰ لمفعول واحد عداه لمفعولين، أو يتعدىٰ لمفعولين عداه لواحد، أو لازم عداه، أو متعد جعله لازمًا. يتضح أن التضمين يكثر استخدامه في النصوص المنثورة والمنظومة، مما يدل علىٰ أنه أصبح متاحًا لكل ناطق بالعربية متىٰ حافظ علىٰ شروطه. وإذا لم أجد بين الفعلين العلاقة التي يعتمد عليها التضمين كما ذكرت، فإن استخدام التضمين يصبح باطلًا. فعندما يجد الشخص تلك العلاقة ويغفل عنها عند استخدامه للفعل، علىٰ سبيل المثال باستخدام فعل "أذاع" متعديًا بحرف الباء، ويظن أنه يتعدىٰ به، فإن كلامه ليس تضمينًا.

ومن نماذج الآيات التي ورد فيها تضمينٌ للأفعال في سورة البقرة: ﴿ٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡغَيۡبِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ ٣﴾ [سورة البقرة:٣].

وجاء التّضمين هنا في الفعل "**يؤمنون**" فقد تضمَّن معنىٰ الفعل أقرَّ أو اعترف، ولذلك كان إلحاقه بكلمة بالغيب؛ فتعدىٰ الفعل بحرف الجر الباء، لإفادة معنىٰ التصديق بالقلب والإقرار باللسان، فصار متضمنا لتصديق الجنان وإقرار اللسانأي يعترفون ، ويثقون أنه الحق[1]، وذكر أبو حيان أن الفعل آمن يتعدىٰ باللام كما في

(١) ينظر: أبو حيان الأندلسي، أبو حيان محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان أثير الدين الأندلسي (ت ٧٤٥هـ)، "**البحر المحيط في التفسير**"، المحقق: صدقي محمد جميل، الناشر: دار الفكر – بيروت، ١٤٢٠ هـ، ج١، ص ٦٤.

عز الدين بن عبد السلام، أبو محمد عز الدين عبد العزيز بن عبد السلام بن أبي القاسم بن الحسن السلمي الدمشقي، الملقب بسلطان العلماء (ت ٦٦٠هـ)، ""**تفسير القرآن، وهو اختصار لتفسير الماوردي**"، المحقق: الدكتور عبد الله بن إبراهيم الوهبي، الناشر: دار ابن حزم، بيروت، الطبعة الأولىٰ، ١٤١٦هـ/ ١٩٩٦م، ج ١، ص ٩٩.

الزمخشري، محمود بن عمر بن أحمد الزمخشري (ت ٥٣٨ هـ)، "**الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل**"، ضبطه وصححه ورتّبه: مصطفىٰ حسين أحمد، الناشر: دار الريان للتراث بالقاهرة، دار الكتاب العربي ببيروت الطبعة الثالثة ١٤٠٧ هـ – ١٩٨٧م، ج١، ص ٣٨.

قوله تعالىٰ: قوله تعالى: ﴿فَمَآ ءَامَنَ لِمُوسَىٰٓ﴾ [سورة يونس:٨٣] ، والتعدية باللام في ضمنها تعدٍّ بالباء(١).

كما ذكر الزمخشري أنه: "يجوز ألا يكون بالغيب صلة للإيمان، وأن يكون في موضع الحال، أي يؤمنون غائبين عن المؤمن به، وحقيقته ملتبسين بالغيب، كقوله: ﴿ٱلَّذِينَ يَخۡشَوۡنَ رَبَّهُم بِٱلۡغَيۡبِ وَهُم مِّنَ ٱلسَّاعَةِ مُشۡفِقُونَ﴾ [سورة الأنبياء:٤٩]، ويعضده ما روىٰ عن أبي معاوية: " إِنَّ أَمْرَ مُحَمَّدٍ ﷺ كَانَ بَيِّنًا لِمَنْ رَآهُ، وَالَّذِي لَا إِلَهَ غَيْرُهُ مَا آمَنَ أَحَدٌ قَطُّ إِيمَانًا أَفْضَلَ مِنْ إِيمَانٍ بِغَيْبٍ"(٢)، والعرب تسمىٰ المطمئن من الأرض غيبًا"(٣).

وتُعدُّ تعدية الأفعال بحروف المعاني وتضمينها معانٍ عدة؛ من أبلغ الألفاظ حيث إذ ما تعددت الوجوه زادت الإفادة والبلاغة، وبما أن ألفاظ العربية التي هي جزءٌ من القرآن الكريم، حمَّالة أوجه، فمن الإبداع أن تأتي الأفعال متعدية بحروف تتضمن عدّة معانٍ.

---

(١) ينظر: أبو حيان الأندلسي، "**البحر المحيط في التفسير**"، مرجع سبق ذكره، ج١، ص ٦٥.

(٢) قَالَ سَعِيدُ بْنُ مَنْصُورٍ: حَدَّثَنَا أَبُو مُعَاوِيَةَ، عَنِ الْأَعْمَشِ، عَنْ عِمَارَةَ بْنِ عُمَيْرٍ، عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ يَزِيدَ قَالَ: كُنَّا عِنْدَ عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ جُلُوسًا، فَذَكَرْنَا أصحَاب النَّبِيِّ ﷺ وَمَا سَبَقُوا بِهِ، قَالَ: فَقَالَ عَبْدُ اللهِ: إِنَّ أَمْرَ مُحَمَّدٍ ﷺ كَانَ بَيِّنًا لِمَنْ رَآهُ، وَالَّذِي لَا إِلَهَ غَيْرُهُ مَا آمَنَ أَحَدٌ قَطُّ إِيمَانًا أَفْضَلَ مِنْ إِيمَانٍ بِغَيْبٍ، ثُمَّ قَرَأَ: ﴿الم * ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًىٰ لِلْمُتَّقِينَ * الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ﴾ إِلَىٰ قَوْلِهِ: ﴿الْمُفْلِحُونَ﴾.

رواه سعيد بن منصور في ((سننه) (٢/ ٥٤٤)، والحاكم في ((المستدرك) (٣٠٣٣)، وقال: صحيح علىٰ شرط الشيخين ولم يخرجاه، وقال ابن حجر في ((الأمالي المطلقة) (٣٩): إسناده صحيح.

(٣) الزمخشري، "**الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل**"، مرجع سبق ذكره، ج١، ص ٣٩.

يقول تعالىٰ: ﴿وَإِذَا لَقُوا۟ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوْا۟ إِلَىٰ شَيَٰطِينِهِمْ قَالُوٓا۟ إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِءُونَ ﴿١٤﴾﴾ [سورة البقرة:١٤].

أشتار الطّبري في تفسيره لهذه الآية عن تضمين الأفعال؛ من دون الإشارة إلىٰ لفظ (التّضمين) صراحة[١]، فقد فسَّر قوله تعالىٰ: ﴿ وَإِذَا خَلَوْا۟ إِلَىٰ شَيَٰطِينِهِمْ قَالُوٓا۟ إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِءُونَ ﴿١٤﴾﴾ فقال: " فإن قال لنا قائل: أرأيت قوله تعالىٰ: ﴿وَإِذَا خَلَوْا۟ إِلَىٰ شَيَٰطِينِهِمْ﴾ [سورة البقرة:١٤] فكيف قيل: ﴿ خَلَوْا۟ إِلَىٰ شَيَٰطِينِهِمْ﴾ [سورة البقرة:١٤] ، ولم يقل خَلَوْا بشياطينهم؟ فقد علمتَ أنّ الجاريَ بين الناس في كلامهم: "خلوتُ بفلان" أكثر وأفشَىٰ من: "خلوتُ إلىٰ فلان"؛ وكان بعض نحويِّي البصرة يقول: يقال " خلوتُ إلىٰ فلان " إذا أريدَ به: خلوتُ إليه في حاجة خاصة، لا يحتَمِل -إذا قيل كذلك- إلا الخلاءَ إليه في قضاء الحاجة؛ فأما إذا قيل: "خلوت به " احتمل معنيين: أحدهما الخلاء به في الحاجة، والآخَر في السخرية به، فعلىٰ هذا القول، ﴿ وَإِذَا خَلَوْا۟ إِلَىٰ شَيَٰطِينِهِمْ﴾ [سورة البقرة:١٤] ، لا شكّ أفصحُ منه لو قيل" وإذا خلوا بشياطينهم"، لما في قول القائل: "إذا خلوا بشياطينهم "من التباس المعنىٰ علىٰ سامعيه، الذي هو مُنتفٍ عن قوله: "وإذا خلوا إلى شياطينهم"، فهذا أحد الأقوال[٢].

---

(١) ينظر: الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير الطبري (٢٢٤/ ٣١٠هـ)، "**تفسير الطبري جامع البيان عن تأويل آي القرآن**"، تحقيق: د عبد الله بن عبد المحسن التركي، بالتعاون مع مركز البحوث والدراسات الإسلامية بدار هجر، د. عبد السند حسن يمامة، الناشر: دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان، الطبعة الأولىٰ، ١٤٢٢ هـ، ٢٠٠١ م، ج١، ص ٣٠٩.

(٢) الطبري، ""**تفسير الطبري جامع البيان عن تأويل آي القرآن**"، مرجع سبق ذكره، ج١، ص ٣١٠.

كما ذكر القرطبي في تفسيره للآية[١]: ﴿ وَإِذَا خَلَوْاْ إِلَىٰ شَيَٰطِينِهِمْ ﴾ [سورة البقرة:١٤] ، "إن قيل: لِمَ وصلت خلوا بـ " إلىٰ " وعُرفها أن توصل بالباء؟ قيل له: (خلوا) هنا بمعنىٰ (ذهبوا وانصرفوا)، ومنه قول الفرزدق:

كيف تراني قالبا مجني ... أضرب أمري ظهره لبطن

قد قتل الله زيادا عني[٢]

لما أنزله منزلة: صرف، وقال قوم: إلىٰ بمعنىٰ مع، وفيه ضعف، وقال قوم: إلىٰ بمعنىٰ الباء، وهذا يأباه الخليل وسيبويه، وقيل: المعنىٰ: وإذا خلوا من المؤمنين إلىٰ شياطينهم، ف "إلىٰ" علىٰ بابها"[٣].

يتعدّىٰ الفعل "خلا" بحرف الباء والياء والمع، ولكن عندما يتعدىٰ بحرف الباء يمكن أن يحمل معنيين: الأول هو الانفراد والآخر هو السخرية. بينما لا يمكن له أن يحمل سوىٰ معنىٰ واحد عندما يتعدىٰ بحرف "إلىٰ"، وهو أن يكون معناه تضمين فعل يتعدىٰ بحرف "إلىٰ" أي أنه ينصرف ويستكان، وذلك لأن تضمين الأفعال أولىٰ من تضمين الحروف. ويتضح من ذلك أن الفعل "خلا" يتنوع في معانيه بحسب الحرف الذي يتعدىٰ به، ويتميز تضمين الأفعال عن تضمين الحروف في أنه أكثر تعددًا للمعاني[٤].

---

(١) القرطبي، أبو عبد الله، محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي، "**تفسير القرطبي، الجامع لأحكام القرآن**"، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، الناشر: دار الكتب المصرية، القاهرة، الطبعة الثانية، ١٣٨٤ هـ، ١٩٦٤ م، ج١، ص ٢٠٦.

(٢) سبق تخريجه، ص٧.

(٣) القرطبي، "**تفسير القرطبي**"، مرجع سبق ذكره، ج١، ص ٢٠٦.

(٤) ينظر: أبو حيان الأندلسي، "**البحر المحيط في التفسير**"، مرجع سبق ذكره، ج٣، ص ٣٣٢.

واستحسن ابن كثير تضمين معنىٰ الفعل هنا، وأرجع الطبري تضمين الفعل في الآية الكريمة إلىٰ معنىٰ (مضىٰ)، وأخذ الرازي كذلك بالتّضمين في تفسير هذه الآية.

والأقرب هنا في الآية الكريمة هو تضمين الفعل "خلا" إلىٰ معنىٰ "خَلُص"؛ حيث إنه بعد مراجعة العديد من التفاسير تبين – والله أعلم – أن المنافقين كانت خلوتهم في خلوصهم إلىٰ شياطينهم، ذهابًا وإيابًا، وذلك علىٰ عكس لقاءاتهم بالمؤمنين.

يقول الله تعالى: ﴿ ٱللَّهَ لَا يَسۡتَحۡيِۦٓ أَن يَضۡرِبَ مَثَلٗا مَّا بَعُوضَةٗ فَمَا فَوۡقَهَاۚ﴾ [سورة البقرة:٢٦].

تضمن الفعل (يستحي) في الآية، معنىٰ الفعل (يمسك) والمتعدي بعن[(١)]، ولأن الامتناع يوحي بأن هناك ما يحول الله عز وجل – وحاشاه ذلك – فجاء التّضمين ليدل علىٰ إحسان الله الجميل علىٰ العباد؛ إذ يفهمهم وسائل الإيضاح هذه تنويرًا لهم وهداية. والعبرة في الصغير، مثل البعوضة، كالعبرة في الكبير مثل السماوات والأرض[(٢)].

ويتضّح أنّ الله لا يترك أي مثل كان فيقتضي أن جميع الأمثال مضروبة في كلامه، لأن المنفي ليس مطلق الترك بل الترك لأجل الاستحياء، فالمعنىٰ (يستحي) تضمن الفعل (يترك) أي لا يترك مَثَلًا ما استحياء، وإن تركه لأمر آخر أراده[(٣)].

---

(١) أَنْ يَضْرِبَ منصوب علىٰ نزع الخافض.

(٢) عبد الله بن حجازي الشرقاوي، (ت: ١٢٢٧هـ)، **"فتح المبدى بشرح مختصر الزبيدى"**، الناشر: مطبعة البابىٰ الحلبىٰ واولاده، ص ٨٧.

(٣) ينظر: الألوسي، "روح المعاني"، مرجع سبق ذكره، ج١، ص ٢٠٩.

وقد جاءت الآية الكريمة هنا باستخدام كلمة (الاستحياء) عوضًا عن لفظة (الإمساك)، لعل ذلك – والله أعلم – مرجعه إلىٰ طمئنة قلوب المؤمنين وإدخال الأنس إلىٰ نفوسهم، والتأكيد لهم لحكمته عزّ وجل في كل ما يصدر عنه(١).

قال الله تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُواْ لِأَدَمَ فَسَجَدُوٓاْ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٣٤﴾﴾ [سورة البقرة:٣٤].(٢)

ذكر أبو حيان أن الفعل اسجدوا قد يتضمن معنىٰ (تذللوا) و (اخضعوا)(٣)، وقال الأصفهاني: "أريد به التذلل كقوله تعالىٰ: ﴿ يَسْجُدُ ﴾ من قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَسْجُدُ لَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ ﴾ [سورة الحج:١٨]، وقول الشاعر(٤):

ترى الأكم فيه سجدًا للحوافر(٥)

---

(١) ينظر: محمد نديم، "التّضمين القرآني"، مرجع سبق ذكره، القسم الثاني، ص ٢٠٧.

(٢) اسْجُدُوا: أَمْرٌ، وَتَقْتَضِي هَذِهِ الصِّيغَةُ طَلَبَ إِيقَاعِ الْفِعْلِ فِي الزَّمَانِ الْمُطْلَقِ اسْتِقْبَالُهُ، وَلَا تُدُلُّ بِالْوَضْعِ عَلَىٰ الْفَوْرِ، وَهَذَا مَذْهَبُ الشَّافِعِيِّ وَالْقَاضِي أَبِي بَكْرِ بْنِ الطَّيِّبِ، وَاخْتَارَهُ الْغَزَالِيُّ وَالرَّازِيُّ خِلَافًا لِلْمَالِكِيَّةِ مِنْ أَهْلِ بَغْدَادَ، وَأَبِي حَنِيفَةَ وَمُتَّبِعِيهِ، وهذ الْخِلَافُ إِنَّمَا هُوَ حَيْثُ لَا تَدُلُّ قَرِينَةٌ عَلَىٰ فَوْرٍ أَوْ تَأْخِيرٍ. ينظر: الأندلسي، "**البحر المحيط**"، ج١، ص ٢٤٦.

(٣) ينظر: أبو حيان الأندلسي، "**البحر المحيط في التفسير**"، مرجع سبق ذكره، ج٣، ص ٣٢٠.

(٤) الراغب الأصفهاني، "**تفسير الراغب الأصفهاني**"، مرجع سبق ذكره، ج١، ص ١٤٨.

(٥) البيت من بحر هو زيد الخيل ابن مهلهل بن منهب من طيئ كنيته أبو مكنف من أبطال الجاهلية لقب زيد الخيل لكثرة خيله أو لشجاعته وكان شاعرا حسنا وله مهاجاة مع كعب بن زهير، أدرك الإسلام سنة ٩ ه في وفد طيئ، قال في الإصابة ج ١ ص ٥٥٥ وسماه النبي زيد الخير، قال ابن النديم في ترجمة المفجع البصري ص ١٢٩ : ان له كتاب غريب

والسجود المأمور به والمفعول إيماء وخضوع، قاله الجمهور، أو وضع الجبهة علىٰ الأرض مع التذلل، أو إقرارهم له بالفضل واعترافهم له بالمزية، وهذا يرجع إلىٰ معنىٰ السجود اللغوي، قال: فإن من أقر لك بالفضل فقد خضع لك، لآدم: من قال بالسجود الشرعي قال: كان السجود تكرمة وتحية له، وهو قول الجمهور[1].

يقول تعالى: ﴿وَٱتَّقُواْ يَوۡمٗا لَّا تَجۡزِي نَفۡسٌ عَن نَّفۡسٖ شَيۡـٔٗا وَلَا يُقۡبَلُ مِنۡهَا شَفَٰعَةٞ وَلَا يُؤۡخَذُ مِنۡهَا عَدۡلٞ وَلَا هُمۡ يُنصَرُونَ ٤٨﴾ [سورة البقرة:٤٨].

الفعل (تجزي) تضمن معنىٰ (تقضي) أو (تغني) [2]"، و(عن) معناها البدل.

زيد الخيل، وكذا في إرشاد الاريب ج ١٧، ص ١٩٤، واسم المفجع محمد بن أحمد. ينظر: السيوري، كنز العرفان في فقه القرآن"، ج١، ص ١٢٥.

الباء في قوله "بجمع" متعلقة ببيت سالف هو: بَنِي عَامِرٍ، هَلْ تَعْرِفُونَ إِذَا غَدَا، أَبُو مِكْنَفٍ قَدْ شَدَّ عَقْدَ الدَّوَابِرِ، والبلق جمع أبلق وبلقاء: الفرس يرتفع تحجيلها إلىٰ الفخذين، والحجرات جمع حجرة، بفتح فسكون : الناحية. والأكم بضم فسكون، وأصلها بضمتين) جمع إكام، جمع أكمة: وهي تل يكون أشد ارتفاعا مما حوله، دون الجبل، غليظ فيه حجارة.

ينظر: الكامل ١/ ٢٥٨، والمعاني الكبير: ص ٨٩٠، والأضداد لابن الأنباري: ص ٢٥٦، وحماسة ابن الشجري، ص ١٩، ومجموعة المعاني، ص ١٩٢.

(١) أبو حيان الأندلسي، "**البحر المحيط في التفسير**"، مرجع سبق ذكره، ج١، ص ٢٤٧.

(٢) ومن قرأ لا تجزئ من أجزأ عنه إذا أغنىٰ عنه، فلا يكون في قراءته إلا بمعنىٰ شيئا من الإجزاء، وقرأ أبو السرار الغنوي: لا تجزئ نسمة عن نسمة شيئا، وهذه الجملة منصوبة المحل صفة ليوما. فإن قلت: فأين العائد منها إلىٰ الموصوف؟ قلت: هو محذوف تقديره: لا تجزئ فيه. ونحوه ما أنشده أبو علىٰ: تَرَوَّحِي أَجْدَرُ أَنْ تَقِيلِي.

ينظر: الزمخشري، "تفسير الكشاف"، مرجع سبق ذكره، ج١، ص ١٣٥. وينظر: الآلوسي، "**تفسير الآلوسي**"، مرجع سبق ذكره، ج١، ص ٣٧١.

وقرأ أبو السمَّال: لا تجزئ: من أجزأ عنه إذا أغنىٰ عنه، فهو لازم(١)، فجاء الفعل (تجزي) متضمنًا معنىٰ (تُغني) أو (تنوب)، وذلك إقرارًا لمبدأ التبعة الفردية القائم علىٰ العدل المطلق، فلا شفاعة يومئذ ولا فدية إلا التقوىٰ، وما تقدمه من صالح العمل، وكلا الفعلين المضمن والمضمن فيه يصدر من مشكاة واحدة(٢).

و" لا تجزي نفس" فإنه تضمن: لا تغني، وروي عن موسىٰ بن هارون، قال: حدثنا عمرو، قال: حدثنا أسباط، عن السدي: واتقوا يوما لا تجزي نفس، أما تجزي: فتغني، وأصل الجزاء في كلام العرب: القضاء والتعويض، ويقال: جزيته قرضه ودينه أجزيه جزا "، بمعنىٰ: قضيته دينه، وقد قال قوم من أهل العلم بلغة العرب:" يقال أجزيت عنه كذا ": إذا أعنته عليه، وجزيت عنك فلانا: إذا كافأته، وقال آخرون منهم: بل " جَزَيْتُ عنك " قضيت عنك، و" أجزَيتُ" كفيت، وقال آخرون منهم: بل هما بمعنىٰ واحد (٣).

ويتضح أن تعدي الفعل بالباء يجعله متضمنًا لمعنىٰ المكافأة، ومن ثمّ فإنه يتضمن معنىٰ الجزاء تبعًا لوقوع سياقه، وتبعًا للحرف المتعدي به.

(١) ينظر: جلال الدين السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (ت ٩١١هـ)، "**الدر المنثور**"، الناشر: دار الفكر، بيروت، (د. س. ن)، ج١، ص ١٦٦.

(٢) ينظر: محمد نديم، "**التّضمين النحوي في القرآن الكريم**"، مرجع سبق ذكره، القسم الثاني، ص ٢٠٧.

(٣) ينظر: الطبري، "**تفسير الطبري**"، مرجع سبق ذكره، ج١، ص ٥٣١- ٥٣٢.

قال الله تعالى: ﴿ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ ٱلذِّلَّةُ وَٱلْمَسْكَنَةُ وَبَآءُو بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللَّهِ ﴾ [سورة البقرة: ٦١].

ضمن الفعل " وباءوا " معنىٰ انصرفوا ورجعوا[١]، وفي التفسير العظيم: " (وباؤا) بغضب من الله، قال الضحاك: استحقوا الغضب من الله، وقال الربيع بن أنس: فحدث عليهم غضب من الله، وقال سعيد بن جبير: وباؤ بغضب من الله يقول: استوجبوا سخطا، وقال ابن جرير: يعني بقوله: وباؤا بغضب من الله انصرفوا ورجعوا، ولا يقال: باء إلا موصولا إما بخير وإما بشر، يقال منه: باء فلان بذنبه يبوء به بوءا وبواء"[٢]، وذكر ابن عاشور أن: "(وباؤ) بغضب من الله أي رجعوا وهو مجاز لمعنىٰ صاروا إذ لا رجوع هنا"[٣]، والباء سببية أي أن كفرهم وما معه كان سببا لعقابهم في الدنيا بالذلة والمسكنة في الآخرة بغضب الله، وفيه تحذير من الوقوع في مثل ما وقعوا فيه[٤]؛ لأن الباء من معانيها السببية وتكون بمعنىٰ مع وقد اتضحت في الآية الكريمة وتقدير الكلام مع أنهم كانوا يكفرون.

---

(١) وباءوا بمعنىٰ انصرفوا ورجعوا.

(٢) ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (ت ٧٧٤ هـ)، "**تفسير القرآن العظيم**"، المحقق: محمد حسين شمس الدين، الناشر: دار الكتب العلمية، منشورات محمد علي بيضون – بيروت، الطبعة: الأولىٰ – ١٤١٩ هـ ج١، ص ١٨١.

(٣) ابن عاشور، محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي (المتوفىٰ: ١٣٩٣هـ)، "**التحرير والتنوير «تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد**"، الناشر: الدار التونسية للنشر، تونس، ١٩٨٤هـ، ج٤، ص ٥٦.

(٤) ينظر: المرجع السابق نفسه، ج ١، ص ٥٢٩.

ثانيا: التّضمين في الأسماء[١]

إن فائدة التّضمين أن يدل بكلمة واحدة علىٰ معنىٰ كلمتين، ويدلك علىٰ ذلك أسماء الشرط والاستفهام[٢]، وقد ذكر ابن يعيش أن الاسم ضمن حالات بنائه هو تضمُّنه معنىٰ الحرف، فقال: "والأسباب الموجبة لبناء الاسم ثلاثة: تضمن معنىٰ الحرف، ومشابهة الحرف، والوقوع موقع الفعل المبني، فكل مبني من الأسماء فإنما سبب بنائه ما ذكر"[٣].

قال تعالى:﴿أَتَأۡمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلۡبِرِّ وَتَنسَوۡنَ أَنفُسَكُمۡ وَأَنتُمۡ تَتۡلُونَ ٱلۡكِتَٰبَۚ﴾ [سورة البقرة: ٤٤].

فسَّر القرطبي (البر) في قوله تعالىٰ، بأنه تضمن معنىٰ: الطاعة والعمل الصالح، فقال: "(البر) هنا الطاعة والعمل الصالح، والبرّ: الصّدق[٤].

---

(١) حيث إنه قد يفهم من كلام النحاة أن التّضمين خاص بالأفعال لكثرة كلامهم عن هذا النوع، إلا أن التّضمين يدخل جميع أنواع الكلمة من اسم وفعل وحرف. ينظر: ص ١٣٨.

(٢) ابن هشام الأنصاري، **"مغني اللبيب عن كتب الأعاريب"**، تحقيق: مازن المبارك محمد علي عبد الله، الناشر: دار الفكر، بيروت، ط ١، ٢٠٠١، ج ٢، ص ٢٨٩.

(٣) ابن يعيش، يعيش بن علي بن يعيش ابن أبي السرايا محمد بن علي، أبو البقاء، موفق الدين الأسدي الموصلي، المعروف بابن يعيش وبابن الصانع (ت ٦٤٣هـ)، **" شرح المفصل للزمخشري"**، قدم له: الدكتور إميل بديع يعقوب، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، الطبعة الأولىٰ، ١٤٢٢ هـ/ ٢٠٠١ م، ج ٤، ص ١٠٤.

(٤) والبر: ولد الثعلب. والبر: سوق الغنم، ومنه قولهم:" لا يعرف هرا من بر" أي لا يعرف دعاء الغنم من سوقها، فهو مشترك.

والبر بضم الباء: معروف، وبفتحها الإجلال والتعظيم، ومنه ولد بر وبار، أي يعظم والديه ويكرمهما.

القرطبي، "**الجامع لأحكام القرآن**"، مرجع سبق ذكره، الجزء الأول، ص ٣٦٨.

وقال الشاعر[١]:

لَا هُـــمَّ رَبِّ إِنَّ بِكْـــرًا دُونَكَـــا يَبَـــرُّكَ النَّـــاسُ وَيَفْجُرُونَكَـــا

أراد بقوله" يبرك الناس" : أي يطيعونك، ويقال: إِنَّ الْبِرَّ الْفُؤَادُ فِي قَوْلِهِ:

أَكُـــونُ مَكَـــانَ البِـــرِّ مِنْـــهُ ودُونَـــهُ وَأَجْعَـــلُ مَـــا لِـــي دُونَـــهُ وأُوَامِـــرُهْ

وقال تعالى: ﴿ وَٱسْتَعِينُواْ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِۚ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى ٱلْخَٰشِعِينَ ﴿٤٥﴾ ﴾ (سورة البقرة: آية ٤٥).

قال ابن جرير: "واستعينوا أيها الأحبار من أهل الكتاب، بحبس أنفسكم علىٰ طاعة الله وبإقامة الصلاة المانعة من الفحشاء والمنكر، المقربة من رضا الله، العظيمة إقامتها إلا علىٰ المتواضعين لله المستكينين لطاعته المتذللين من مخافته"[٢] .

فقد تضمن (الصبر) معنىٰ الوفاء بالعهد والمحافظة علىٰ الطاعة، وتضمَّنت لفظة (لكبيرة) معنىٰ المشقة.

(١) والبر: ولد الثعلب. والبر: سوق الغنم، ومنه قولهم:" لا يعرف هرا من بر" أي لا يعرف دعاء الغنم من سوقها، فهو مشترك.

والبر بضم الباء: معروف، وبفتحها الإجلال والتعظيم، ومنه ولد بر وبار، أي يعظم والديه ويكرمهما.

القرطبي، "**الجامع لأحكام القرآن**"، مرجع سبق ذكره، الجزء الأول، ص ٣٦٨.

(٢) ابن كثير، "**التفسير العظيم**"، مرجع سبق ذكره، الجزء الأول، ص ٣٣٧.

قال الله تعالى: ﴿وَقَالُوا۟ لَن تَمَسَّنَا ٱلنَّارُ إِلَّآ أَيَّامًا مَّعْدُودَةً ۚ قُلْ أَتَّخَذْتُمْ عِندَ ٱللَّهِ عَهْدًا فَلَن يُخْلِفَ ٱللَّهُ عَهْدَهُۥٓ ۖ أَمْ تَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٨٠﴾﴾ [سورة البقرة: ٨٠].

تضمنت لفظة (العهد) هنا معنىٰ العمل الصالح، فقد ذكر القرطبي في تفسيره: "عهدا أي أسلفتم عملا صالحا فآمنتم وأطعتم فتستوجبون بذلك الخروج من النار! أو هل عرفتم ذلك بوحيه الذي عهده إليكم فلن يخلف الله عهده أم تقولون علىٰ الله ما لا تعلمون توبيخ وتقريع"(١).

وذكر الرازي أن (العهد) في تلك الآية تضمن معنىٰ الوعد، إذ قال: "العَهْدُ في هَذا المَوْضِعِ يَجْرِي مَجْرىٰ الوَعْدِ والخَبَرِ، وإنَّما سُمِّيَ خَبَرُهُ سُبْحانَهُ عَهْدًا لِأنَّ خَبَرَهُ سُبْحانَهُ أوْكَدُ مِنَ العُهُودِ المُؤَكَّدَةِ مِنّا بِالقَسَمِ والنَّذْرِ، فالعَهْدُ مِنَ اللهِ لا يَكُونُ إلّا بِهَذا الوَجْهِ"(٢).

قال الله تعالى: ﴿ أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ ٱلصِّيَامِ ٱلرَّفَثُ إِلَىٰ نِسَآئِكُمْ ﴾ [سورة البقرة: آية ١٨٧] .

تضمنت لفظة (الرفث) هنا في الآية الكريمة معنىٰ الإفضاء، "وأنت لا تقول: رفثت إلىٰ المرأة، وإنما تقول: رفثت بها، ومعها، لكنه لما كان الرفث هنا في معنىٰ الإفضاء، وكنت تعدي أفضيت ب (إلىٰ) كقولك: أفضيت إلىٰ المرأة، جئت ب (إلىٰ) مع الرفث إيذانًا وإشعارًا أنه بمعناه"(٣).

(١) القرطبي، "تفسير القرطبي"، مرجع سبق ذكره، الجزء الثاني، ص ١٠.

(٢) الرازي، أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري (ت ٦٠٦هـ)، "مفاتيح الغيب، التفسير الكبير"، الناشر: دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤٢٠ هـ، الجزء الثالث، ص ٥٦٦.

(٣) ابن جني، أبو الفتح عثمان بن جني الموصلي (ت ٣٩٢هـ)، "**الخصائص**"، الناشر: الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، الطبعة الرابعة، (د. س)، ج ٢، ص ٢٠٨.

وقد بينَّ ذلك الزمخشري اقتداءً بابن جني، قائلًا: "فإن قلت: لِمَ عدّىٰ الرفث ب (إلىٰ)؟ قلت: لتضمينه معنىٰ الإفضاء[(١)].

ثالثًا: التّضمين في الحروف

قال الله تعالى: قوله تعالى:﴿وَٱتَّبَعُواْ مَا تَتۡلُواْ ٱلشَّيَٰطِينُ عَلَىٰ مُلۡكِ سُلَيۡمَٰنَۖ وَمَا كَفَرَ سُلَيۡمَٰنُ وَلَٰكِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ كَفَرُواْ يُعَلِّمُونَ ٱلنَّاسَ ٱلسِّحۡرَ ١٠٢﴾ [سورة البقرة:١٠٢].

وذكر الطبري أن قوله تعالىٰ علىٰ ملك: "يعني بقوله جل ثناؤه علىٰ ملك سليمان (في ملك سليمان؛ وذلك أن العرب تضع " في " موضع " علىٰ " و " علىٰ " في موضع " في " من ذلك قول الله جل ثناؤه : ولأصلبنكم في جذوع النخل يعني به : علىٰ جذوع النخل، وكما قال : "فعلت كذا في عهد كذا وعلىٰ عهد كذا " بمعنىٰ واحد"[(٢)].

(١) الزمخشري، محمود بن عمر بن أحمد الزمخشري [ت ٥٣٨ هـ]، **"الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل"**، ضبطه وصححه ورتّبه: مصطفىٰ حسين أحمد، الناشر: دار الريان للتراث بالقاهرة - دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧ م، ج ١، ص ٣٣٨.

(٢) الطبري، **"تفسير الطبري جامع البيان عن تأويل آي القرآن"**، مرجع سبق ذكره، ج١، ص ٣٣٥.

قال الله تعالىٰ: قوله تعالىٰ:﴿وَأَنفِقُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا تُلْقُواْ بِأَيْدِيكُمْ إِلَى ٱلتَّهْلُكَةِ وَأَحْسِنُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٩٥﴾﴾ [سورة البقرة:١٩٥].

[يتضمن حرف الباء هنا معنىٰ السببية، فالباء هنا ليست زائدة، ومعنىٰ "ألقىٰ بيده" أقوىٰ من "ألقىٰ يده"، لأن "ألقىٰ بيده" يعني أنه وضع يده فلم يكن بها حرًّا، بخلاف "ألقىٰ يده إلىٰ التهلكة"، حيث يعني أنه رمىٰ يده إلىٰ التدمير والهلاك. وأيضًا، يمنع استخدام "ألقىٰ يده" بسبب الجملة التي تليها: "إلىٰ التهلكة"، حيث لو كان المعنىٰ "ألقىٰ يده"، لقال: في التهلكة ولم يقل: "إلىٰ التهلكة". لذلك، الباء في "ألقىٰ بيده" هي أصلها، والمعنىٰ هو أنه لم يُرمَ حرًّا بيده، مثلما يقول "ألقىٰ بيده إلىٰ التهلكة" يعني أنه سلّمها للتهلكة أو التدمير.

قال الله تعالى: ﴿ لِّلَّذِينَ يُؤْلُونَ مِن نِّسَآئِهِمْ تَرَبُّصُ أَرْبَعَةِ أَشْهُرٍ ۖ فَإِن فَآءُو فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٢٦﴾ ﴾[سورة البقرة: آية ٢٢٦] .

وذهب أبوحيان إلىٰ أن الفعل (آلىٰ) لايتعدىٰ بـ(مِن)، فقيل: (مِنْ) بمعنىٰ (علىٰ) وقيل بمعنىٰ في، ويكون ذلك علىٰ حذف مضاف أي علىٰ ترك وطء نسائهم أو في ترك وطء نسائهم. وقيل: (مِنْ) زائدة والتقدير يؤلون أن يعتزلوا نساءهم، وقيل: يتعلق بمحذوف[1].

(١) ينظر: أبو حيان الأندلسي، "البحر المحيط في التفسير"، مرجع سبق ذكره، ج١، ص ٤٤٧.

وذكر الزركشي: "أي يمتنعون عن وطء نسائهم بالحَلِفِ"،[١] وتعدّىٰ بها هنا لتضمين معنىٰ امتنع.

وقال الراغب: الإيلاء: الحلف الذي يقتضي النقيصة في الأمر الذي يحلف فيه وصار في الشرع: الحلف المانع من جماع الزوجة [٢].

إن العدول في هذه الآية الكريمة باستخدام الحرف (من) المتضمن معنىٰ الحرف (عن) هي إحدىٰ ظواهر اللغة العربية، حيث إنّ الفعل ليس ممن يتعدىٰ بحرف الجر (من)، ما يكشف جانبا من جوانب بلاغة القرآن وإعجازه.

وردًّا من ابن هشام عمَّن لا يقول بالتضمين؛ "ولما خفي التضمينُ علىٰ بعضهم في الآية ورأىٰ أنّه لا يُقال: حلفت من كذا بل حلفت عليه، قال: (مِن) متعلقة بمعنىٰ (الذين)، كما تقول: لي منك مبرة» وأنت ترىٰ بُعْدَ هذا القول بل وصعوبة فهمه"[٣].

(١) الزركشي، "**البرهان في علوم القرآن**"، مرجع سبق ذكره، ص ٣٤٥.

(٢) ينظر: الراغب الأصفهاني، "**تفسير الراغب الأصفهاني**"، مرجع سبق ذكره، الجزء الأول، ص ١٤٢.

(٣) ابن هشام، **مغني اللبيب عن كتب الأعاريب**"، مرجع سبق ذكره، المجلد الثاني، ص ٧١.

خاتمة

يُعدّ التّضمين هو صاحب الفضل في تألُّق المعاني بصورٍ شتىٰ تجذب النفس البشرية، وتأثرها ببديع الصُّنع فتزكيها، لذا تضمَّنته هذه الدراسة؛ إذ يُعدُّ فرعًا من عرف المنظومة اللغوية، وما ترتب عليه من دلالات أثرت المعنىٰ، فتارةً نراها جاءت لزيادة تأكيد المعنىٰ، وأخرىٰ للتنبيه، وجاءت تارةً لتعبِّر عن اتساع الدلالة، وتارة للحث علىٰ التفكُّر والتدبُّر، فتلك الظاهرة الفريدة تقوم علىٰ تضمين اللفظ معنىٰ لفظ آخر ليؤدي المعنيين معًا، وهكذا، بيّنت لنا الدراسة أثر ذلك في اللغة، لاسيما في تفسير كلام الله – عزَّ وجل –؛ إذ وقفنا علىٰ لطائف المعاني للآيات القرآنية، فأمن اللبس وكان السبيل للهداية، وحتىٰ يتسنىٰ لنا الإحاطة بمدلول معاني كلمات القرآن الكريم قدر المستطاع، وإدراك مقاصدها.

النتائج:

- تناول النّحاة والمفسرون ظاهرة التضمين، معبرين عنها بألفاظ صريحة وأخرىٰ ضمنية.
- تُوهِّم أن التضمين النحوي وقع في الأفعال من دون غيرها، وذلك لكثرة كلام المفسرين والنحاة عنه.
- إن التّضمين لم يقل به النحاة جميعًا، ومن قال به أمثال: الخليل، وسيبويه، وابن القيم، وابن الجني، وغيرهم، ومنهم ما لم يقل به وعوضًا عنه، قالوا: بتناوب الحروف.
- سورة البقرة من السور الغنية بالعديد من الظواهر النحوية، لا سيما ظاهرة التّضمين النحوي.

- على الأغلب وقع التضمين في الأفعال أكثر منه في الحروف والأسماء، وذلك حسب نموذج الدراسة (سورة البقرة).
- كان إجمالي ما وقع من تضمين في سورة البقرة: ستين آية.
- وقع تضمين الأفعال في سورة البقرة في تسع وثلاثين آية، بينما كان في الحروف بواقع إحدى عشرة آية، وجاء في الأسماء في عشرة آيات.

التوصيات:

- يجب علينا الإلمام بمذاهب اللغة وتفاسيرها، حتى يتسنَّى الوقوف على دلالتها.
- سورة البقرة من السور الغنية بالعديد من الظواهر النحوية، لا سيما ظاهرة التّضمين النحوي، فهناك المزيد من الدارسات التي يجب أن تشمل باقي الجوانب بالتحليل والدراسة.

المصادر والمراجع

١. ابن السراج، أبو بكر محمَّد بن السري بن السراج (٣١٦هـ)، "الأصول في النحو"، تحقيق: د عبد الحسين الفتلي، الناشر: مؤسسة الرسالة، ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م.

٢. ابن العربي، القاضي محمد بن عبد الله أبو بكر بن العربي المعافري الاشبيلي المالكي (ت ٥٤٣هـ)، "أحكام القرآن"، المحقق: محمد عبد القادر عطا، الناشر: دار الكتب العلمية، ط٣، ١٤٢٤ – ٢٠٠٣.

٣. ابن جني، أبو الفتح عثمان بن جني الموصلي (ت ٣٩٢هـ)، "الخصائص"، الناشر: الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، الطبعة الرابعة، (د. س).

٤. ابن عاشور، محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي (المتوفى: ١٣٩٣هـ)، "التحرير والتنوير «تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد"، الناشر: الدار التونسية للنشر، تونس، ١٩٨٤هـ.

٥. ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (ت ٧٧٤ هـ)، "تفسير ابن كثير"، المحقق: محمد حسين شمس الدين، الناشر: دار الكتب العلمية، منشورات محمد علي بيضون – بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٩ ه.

٦. ابن هشام الأنصاري (٧٦١ ه)، "مغني اللبيب عن كتب الأعاريب"، تحقيق وتعليق: بركات يوسف هبود، الناشر: شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ١٤١٩ه، ١٩٩٩م.

٧. ابن يعيش، يعيش بن علي بن يعيش ابن أبي السرايا محمد بن علي، أبو البقاء، موفق الدين الأسدي الموصلي، المعروف بابن يعيش وبابن الصانع (ت ٦٤٣هـ)، " شرح المفصل للزمخشري"، قدم له: الدكتور إميل بديع

يعقوب، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، الطبعة الأولىٰ، ١٤٢٢ هـ/ ٢٠٠١ م.

٨. أبو حيان الأندلسي، أبو حيان محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان أثير الدين الأندلسي (ت ٧٤٥هـ)، "البحر المحيط في التفسير"، المحقق: صدقي محمد جميل، الناشر: دار الفكر – بيروت، ١٤٠ هـ.

٩. أحمد بن حنبل، الإمام أحمد بن حنبل (١٦٤ - ٢٤١ هـ)، "مسند الإمام"، المحقق: شعيب الأرنؤوط - عادل مرشد، وآخرون، إشراف: د عبد الله بن عبد المحسن التركي، الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولىٰ، ١٤٢١ هـ - ٢٠٠١ م.

١٠. الأزهري، محمد بن أحمد بن الأزهري الهروي، أبو منصور (ت ٣٧٠هـ)، "تهذيب اللغة"، المحقق: محمد عوض مرعب، الناشر: دار إحياء التراث العربي، ط١، بيروت.

١١. آسيا غروج، "التّضمين في النحو وتطبيقاته في القرآن الكريم"، الناشر: دفاتر تعبر الشعرية الجزائرية، العدد الثالث، ٢٠١٦م.

١٢. الأشموني، أبو الحسن، علي بن محمد بن عيسىٰ، أبو الحسن، نور الدين الأُشْمُوني الشافعي (ت ٩٠٠هـ)، "شرح الأشموني علىٰ ألفية ابن مالك"، الناشر: دار الكتب العلمية بيروت، لبنان، الطبعة الأولىٰ ١٤١٩هـ، ١٩٩٨مـ.

١٣. البغوي، محيي السنة، أبو محمد الحسين بن مسعود البغوي (ت ٥١٠هـ)، "معالم التنزيل"، المحقق: حققه وخرج أحاديثه محمد عبد الله النمر، عثمان جمعة ضميرية، سليمان مسلم الحرش، الناشر: دار طيبة للنشر والتوزيع، الطبعة: الرابعة، ١٤١٧هـ، ١٩٩٧م.

١٤. جرير بن عطية الخطفي، "ديوان جرير"، الناشر: دار بيروت للطباعة والنشر، ١٤٠٦ – ١٩٨٦م.

١٥. الجصاص، أحمد بن علي أبو بكر الرازي الجصاص الحنفي (ت ٣٧٠هـ)، "أحكام القرآن"، المحقق: محمد صادق القمحاوي - عضو لجنة مراجعة المصاحف بالأزهر الشريف، الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت، ١٤٠٥ هـ.

١٦. جلال الدين السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (ت ٩١١هـ)، "الدر المنثور"، الناشر: دار الفكر، بيروت، (د. س. ن).

١٧. حسين والي، التّضمين"، الناشر: مجلة المجمع اللغوي، (د ١ جلسة ١٦ – محاضر الجلسات).

١٨. الخليل، الخليل بن أحمد الفراهيدي، (ت ١٧٠ه)، "العين"، تحقيق: د. عبد الحميد هنداوي، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الأولىٰ، ١٤٢٤ه/ ٢٠٠٣م..

١٩. الرازي، أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري (ت ٦٠٦هـ)، "مفاتيح الغيب، التفسير الكبير"، الناشر: دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤٢٠ هـ.

٢٠. الراغب الأصفهاني، أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني (ت ٥٠٢هـ)، "مفردات الراغب"، المحقق: صفوان عدنان الداودي، الناشر: دار القلم، الدار الشامية، دمشق بيروت، الطبعة الأولىٰ، ١٤١٢ه.

٢١. الزركشي، أبو عبد الله بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر الزركشي (ت ٧٩٤هـ)، "البرهان في علوم القرآن"، تحقيق: أبو الفضل الدمياطي، الناشر: دار الحديث القاهرة، ١٤٢٧ه، ٢٠٠٦م.

٢٢. الزمخشري، محمود بن عمر بن أحمد الزمخشري (ت ٥٣٨ هـ)، "الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل"،

ضبطه وصححه ورتّبه: مصطفىٰ حسين أحمد، الناشر: دار الريان للتراث بالقاهرة، دار الكتاب العربي ببيروت، الطبعة الثالثة ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧.

٢٣. سعيد الأفغاني، "أصول النحو"، الناشر: المكتب الإسلامي، ١٤٠٧، ١٩٨٧.

٢٤. سعيد الخوري الشرتوني اللبناني، "أقرب الموارد في فصح العربية والشوارد"، إصدار أصلي من جامعة ميتشيغان، ١٩٩٢م.

٢٥. سيبويه، أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر (١٨٠هـ)، "الكتاب"، ط١، بولاق، المطبعة الكبرىٰ الأميرية، ١٣١٧هـ.

٢٦. السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (ت ٩١١هـ)، "الدرر المنثور"، الناشر: دار الفكر - بيروت، ٢٠١١م.

٢٧. شمس الدين الذهبي، شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي (ت ٧٤٨ هـ)، "سير أعلام النبلاء"، تحقيق: مجموعة من المحققين بإشراف الشيخ شعيب الأرناؤوط، تقديم: بشار عواد معروف، الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة الثالثة، ١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥م.

٢٨. الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير الطبري (٢٢٤/ ٣١٠هـ)، "تفسير الطبري جامع البيان عن تأويل آي القرآن"، تحقيق: د عبد الله بن عبد المحسن التركي، بالتعاون مع مركز البحوث والدراسات الإسلامية بدار هجر، د. عبد السند حسن يمامة، الناشر: دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان، الطبعة الأولىٰ، ١٤٢٢ هـ، ٢٠٠١ م.

٢٩. عبد الله بن حجازي الشرقاوي، (ت: ١٢٢٧ه)، "فتح المبدئ بشرح مختصر الزبيدئ"، الناشر: مطبعة البابئ الحلبئ وأولاده، (د. س. ن).

٣٠. عز الدين بن عبد السلام، أبو محمد عز الدين عبد العزيز بن عبد السلام بن أبي القاسم بن الحسن السلمي الدمشقي، الملقب بسلطان العلماء (ت ٦٦٠هـ)، ""تفسير القرآن، وهو اختصار لتفسير الماوردي"، المحقق:

الدكتور عبد الله بن إبراهيم الوهبي، الناشر: دار ابن حزم، بيروت، الطبعة الأولىٰ، ١٤١٦هـ/ ١٩٩٦م.

٣١. العز بن عبد السلام، عز الدين عبد العزيز بن عبد السلام السلمي الدمشقي الشافعي، "مجاز القرآن"، تحقيق: مصطفىٰ محمد الذهبي (٥٧٧ – ٦٦٠ه)، الناشر: مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي، لندن، ١٤١٩ه، ١٩٩٩م.

٣٢. القرطبي، أبو عبد الله، محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي، "تفسير القرطبي، الجامع لأحكام القرآن"، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، الناشر: دار الكتب المصرية، القاهرة، الطبعة الثانية، ١٣٨٤ هـ، ١٩٦٤ م.

٣٣. المبرد، محمد بن يزيد المبرد، أبو العباس (ت ٢٨٥هـ)، "الكامل في اللغة والأدب"، المحقق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الناشر: دار الفكر العربي – القاهرة، الطبعة الثالثة ١٤١٧ هـ - ١٩٩٧م.

٣٤. مجلة مجمع اللغة العربية بالقاهرة، قرار التضمين.

٣٥. محمد الخضر حسين، "دراسات في العربية وتاريخها"، الناشر: المكتب الإسلامي، دمشق، سوريا، الطبعة الثانية، ١٣٨٠ هـ ١٩٦٠م،

٣٦. محمد بن مكرم بن علىٰ، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعىٰ الإفريقىٰ (ت ٧١١هـ)، "لسان العرب"، الحواشي: لليازجي وجماعة من اللغويين، الناشر: دار صادر، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤١٤هـ، ج ١٤.

٣٧. محمد نديم فاصل، "التّضمين النحوي في القرآن الكريم"، الناشر: دار الزمان للنشر والتوزيع، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية، الطبعة الأولىٰ، ١٤٢٦ه، ٢٠٠٥م.

٣٨. محمود عكاشة، "الحمل علىٰ ألفاظ والمعنىٰ في القرآن الكريم"، في ضوء القياس علىٰ المشهور والنادر، الناشر: الأكاديمية الحديثة للكتاب الجامعي، الطبعة الأولىٰ، القاهرة، ٢٠٠٩.

٣٩. المرادي، أبو محمد بدر الدين حسن بن قاسم بن عبد الله بن عليّ المرادي المصري المالكي (المتوفىٰ: ٧٤٩هـ)، " توضيح المقاصد والمسالك بشرح ألفية ابن مالك"، شرح وتحقيق: عبد الرحمن علي سليمان، أستاذ اللغويات في جامعة الأزهر، الناشر: دار الفكر العربي، الطبعة الأولىٰ ١٤٢٨هـ، ٢٠٠٨م.

٤٠. الملا علي القاري، علي بن (سلطان) محمد، أبو الحسن نور الدين الملا الهروي القاري (ت ١٠١٤هـ)، "فيض المعين علىٰ جمع الأربعين في فضل القرآن المبين"، تحقيق وتخريج: محمد شكور بن محمود الحاجي أمرير الميادیني، الناشر: مكتبة المنار، الزرقاء – الأردن، الطبعة الأولىٰ، ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧م.

٤١. نخبة من اللغويين بمجمع اللغة العربية بالقاهرة، "المعجم الوسيط"، الناشر: مجمع اللغة العربية، القاهرة، الطبعة الثانية، كُتِبَتْ مقدمتُها ١٣٩٢ هـ، ١٩٧٢ م، وصَوَّرَتْها: دار الدعوة بإستانبول، ودار الفكر ببيروت، وغيرهما كثير.